نورالديـــن النبهـــاني

وردة في سوق السمك

وقصص أخرى

مجموعة قصصية

دار بسمة
للنشر الإلكتروني

نور الدين النبهاني

اسم الكتاب: وردة في سوق السمك وقصص أخرى
اسم الكاتب: نور الدين النبهاني
نوع العمل: قصص
الرقم الدولي EBIN: 16-1-260-230903
الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني
الطبعة الأولى: 2023م / 1445هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934
داربسمة للنشر الإلكتروني
(المغرب)
Darbassma1@gmail.com
المملكة المغربية

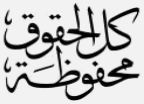

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

وردة في سوق السمك

وقصص أخرى

قصص

نور الدين النبهاني

دار بسمة للنشر الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أحب أن أهدي مجموعتي القصصية هذه..

إلى نساء حياتي.. وصانعات سعادتي..

اللائي لولاهن ما كان لي كيان ولا وجود..

إلى أمي خديجة.. وزوجتي سميرة..

الأولى أعطتني الحياة.. وكانت مدرستي الأولى..

والثانية علمتني معنى الحياة ووهبتني حياة فوق حياتي..

وإلى ابنتي أميمة وسارة..

الأولى جعلت لفرحتي معنى والثانية آخر العنقود جعلت لختامي مسك..

وإلى ثريا الأسرة.. مليكة ونعيمة..

الأولى عماد البيت والثانية ملح الطعام.. وبدون كلتيهما لا مذاق لأي طعام.

أما ابني محمد فلا يحتاج إلى إهداء، بل هو الإهداء نفسه.

من توقيع..

نور الدين النبهاني.

وردة في سوق السمك

وردة هو الاسم أو اللقب الذي اشتهرت به فتاة قاصر بين المتشردين بشوارع المدينة..

كانت تعيش بلا مأوى، ولا مقر.. تتسكع مع المتسكعين طول النهار بالأزقة والشوارع.. وفي الليل تتخذ معهم البيوت المهجورة مأوى للمبيت .

تتعاطى كل أنواع المُخدرات.. وكل أنواع المسكرات ليلا ونهارا وفي كل الأوقات.. رغم حداثة سنها..

ظلت تدخل في علاقات غير شرعية مع زملائها في التسكع.. تارة بالرضى، وأحيانا بالغصب، ومرات بالاحتيال عليها، حالما تفقد الوعي و التوازن.. إلى أن أصبحت أمّا عازبة..

لم تجِدْ أحدا بِجانبها طيلة فترة الحمل إلاّ أسرة صغيرة بالحي محرومة من الذرية.. تُقيم بدولة إيطاليا.. صادف مخاضها وجودهم بالمغرب.. اعتنوا

بها فسَلَّمَتْهم الطفلة بعد الولادة، وهامت في الشوارع، تبكي و تُوَلْوِلُ، و تَنْدب حظها، و تلعن قدرها حتى عُدَّتْ من المجانين.. ثم اختفت.

ذات صباح.. ظهرت من العدم.. وأخذت لها موقعا في السوق بين باعة السمك.. كما أعلنت أنّها ستقوم بِغَسْل السردين.. وتَنْظيفه بالمُقابل للزُّبناء.. وتلك عادة لم تكن مألوفة في سوق السمك بالمدينة حينئذ..

مِهنة ابْتَدَعَتْها و مارستها.. ولا أحد يدري من أين استمدت هذه الفِكرة ؟!..

ولا كيف اتخذت قرارَها ؟.. ولا من أين استنبطت قوةَ هذه العزيمة ؟!..

استضافها بوشعيب العبدي بسكنه.. وهو شاب على مشارف الثلاثين من عمره.. نحيف الجسم، قصير القامة، أسمر اللون.. اعزب في حالته الاجتماعية، و يعيش وحيدا.. وبعيدا عن والديه، و مسقط رأسه سيدي بنور.. يزاول مهنة عامل بناء بورشة لأحد المقاولين المحليين بالمدينة..

آواها في شقته التي يكتريها بأسفل عمارة في حي شعبي.. مقابل خدمات متنوعة من ضمنها وظيفة خليلة له.. مستحملا إياها رغم رائحة السمك التي ترافقها، وتنقلها معها إلى البيت.. في ملابسها.. في يديها.. وفي كل جسدها.. حتى أصبح تلك الرائحة عطرا تتميز به عن كل البنات.

ظلت على حالها ذلك إلى أن نظمت إيطاليا كأس العالم لكرة القدم سنة 1990.. فاندست ضمن المشجعين.. انسلت عبر ميناء طنجة.. وذابت هناك.. وانقطعت أخبارها..

ذات صباح.. من صباحات أيام الأحد بشهر غشت..

سمع بوشعيب عامل البناء طرقات متتالية.. فتح باب شقته ليتفاجأ بوردة بعد غياب طويل.. تعرف عليها من أول وهلة.. وقد مضى على رحيلها سنين طويلة..

حين رآها رفقة مالك العمارة ارتبك واضطرب.. لأنّه أصبح أبا مسؤولا.. وله زوجة وبنات صغار.. هن الآن يستحممن مع والدتهن في الحمام التقليدي.. ولم يكنْ يعلم أنّ وردة أصبحت المالك الجديد

لِلْعِمارة.. و ليكتشف مصدوما أن التي كان يأويها من الشارع.. أصبح مكريا عندها.. وعليه أنْ يدفع لها واجِبَ الإيجار، وثمن الكراء كل شهر.

أخرجته من حيرته وهي تبلغه أنها جاءت اليوم للتعرف على سكان العمارة.. وليس لتتسلم الإيجار.. تنفس الصعداء مبتسما.. وازدادت مساحة ابتسامته حين مَنَّتْ عليه اعترافا لجميله.. قائلة له.. بأنها ستعفيه من أي زيادة مستقبلية في ثمن الكراء.. دون أن تدخل معه في أي تفاصيل أخرى..

انصرفت وخلفها مالك العمارة القديم.

ميراث فطومة

جلس عبد المغيث بمركز التحليلات ينتظر نتائج تحاليله الطبية.. طال به الانتظار، فسرح بفكره بعيدا حول طفولته، وتذكر والدته فطومة.. كم كانت تكره مختبرات التحاليل، وفي نفس الوقت تخاف من تفاقم الأمراض .

السمنة المفرطة مع قلة الحركة.. و قصر القامة مع كثرة الأمراض، جعلوا والدته فطومة لا تستمتع بحياتها كما يجب، ولا تستطعم طعامها، أو تستلذ شرابها، وهي تعاني من مرض السكري الناتج عن السمنة.

لذلك كانت تبتعد كليا عن استعمال السكر أثناء أعداد الشاي أو القهوة، وتعتبره من السموم البيضاء.. بل كانت تعتبره أكثر خطرا وفتكا من التدخين والمخدرات.

وهذا هو السبب الذي جعل عبد المغيث إلى يومنا هذا لا يتجاوز رشفة أو رشفتين من فنجان الشاي أو القهوة عند شربه، إذ كان لا يستطعم مذاقهما.. بعدما كانت المرحومة والدته ترغمه على شربهما بلا سكر منذ صغره .

عانت والدته بالإضافة إلى مرض السكري من مرض الضغط الدموي.. الذي جعل والدها مشلولا لسنوات.. وخوفا من أن ترث هذا المرض من والدها.. ومن شدة حرصها، ظلت تتجنب استعمال الملح في الطعام، وفي كل المأكولات، و تعتبره من السموم البيضاء.. لذلك عبد المغيث لم يكن يستطعم طعام والدته.. ولعله أول طفل في دنيانا لا يحب طعام أمه، ولا يتباهى به .

كل ما يعرفه عن امه الطيبة منذ صغره، أنها كانت معتكفة في بيتها.. لا تزور ولا تزار، مختزلة فيه كل عائلتها وأصدقائها، متجنبة كل من قد يسبب لها قلقا أو إزعاجا.. خوفا من الانهيار العصبي الذي عانت منه والدتها.. يوم دخلت في خلافات على الميراث مع بعض أقاربها .

كانت ترى الأقارب عقارب، كلامهم سم أبيض.. لا يختلف عن باقي السموم البيضاء.. فعاشت في عزلة.. وانعكس ذلك على ابنها عبد المغيث.. فشب منعزلا مثلها، منقطعا عن الصحبة والأصدقاء، ميالا للوحدة و الانطواء.

ظلت تحمل همها في قلبها بمفردها، وظل جسدها وحده يعاني من آلام الأمراض في صمت .

لم يشاركها أحد من الأقارب فرحته الخاصة.. ولم تشارك هي أحد من المقربين تعاستها، ولا فكر أحد أن ينوب عنها في حمل همها، ولا فكرت هي في حمل هموم الآخرين.

كان يراها ابنها أما طيبة، ويراها الآخرون امرأة سليطة اللسان، كثيرة الشكاوي حتى زوجها وهو في نفس الوقت، ابن عمتها و والد ابنها الوحيد يتأفف من أمراضها.. واعتذاراتها، و شكاويها المتكررة، وامتناعها كلما اقترب منها، لممارسة حقوقه الشرعية مبررة له ذلك بألف عذر و عذر، رغم أنها لم تتجاوز الأربعين من العمر إلا بسنة أو سنتين..

لذلك فر منها، وغادر البيت، بعد نفاذ صبره.. دون أن يحدد وجهته.. أو يرمي عليها يمين الطلاق..

فطومة رصيدها من العواطف لم ينفذ.. لكن شراكتها في الزواج هي التي أفلست بسبب المرض مع زوج أناني.. لا يفكر إلا في نفسه وفي رغباته..

منذ رحيله، وهي تعيش مكتفية بذاتها، منزوية ببيتها، مستعينة بابنها، و بمداخيل ميراث والديها .

ظل عبد المغيث بجانب والدته لصيقا بها.. ملازما لحضنها ما عدا أيام الدراسة، و متحملا معها كل ظروفها بطبعه الهادئ، و صمته الدائم، فكانت هي تستغل ذلك، وتوجه له النصائح وتكثر فيها حسب حالاتها النفسية.. وتستفتح ذلك بقولها:

"(أوصيك والوصية لا تقتل ولا تميت.. لا تربط نجاحك بتحسن الظروف، فلا تغيير يحصل إلا بك ومنك..

أما إذا كانت منشرحة.. تنصحه قائلة:

أوصيك والوصية لا تقتل ولا تميت.. لا ترهن سعادتك في أيدي الآخرين.. بل ابحث عنها داخل ذاتك.. واستمتع بها كما يحلو لك.

لكن في حالات الغضب تصرخ فيه ناصحة:

أوصيك و الوصية لا تقتل ولا تميت.. كن مثل الزمن لا يجامل ولا يتملق، بل يترك تجاعيده على الجميع دون تمييز أو استثناء.. ويترك لهم حرية مساحة التجميل لإخفاء بعضها ")

وفي حالات التأمل تهمس له في أذنه قائلة:

إياك أن تتخلى عن أحلامك من أجل زوجة.. أو تتنازل عن طموحك من أجل حبيبة.. فعاش المسكين حياته وحيدا بلا حبيبة ولا زوجة .

تمت المناداة عليه ليتسلم نتائج تحاليله، فختم شريط ذكرياته بوصية والدته التي ظلت توصيه بها، وهي على فراش الموت تحتضر من مرض السكري، و ضغط الدم، و التشنجات العضلية و الدوالي، الذي ظلت تعاني منهم حتى فارقت الحياة .

لم تكن تعلم أن هذه الامراض حين تكون وراثية لا مفر منها، ولا ينفع معها، لا وصية ولا تحذير، تكون أشبه بالقدر المحتوم .

حين أبلغه الطبيب، وهو يطلع على التحاليل أن نسبة السكر مرتفعة كثيرا في دمه، وأن هذه الأمراض الوراثية تكون شرسة في هجومها على جسم المريض، وطلب منه أن يأخذ حذره وان يلتزم بالحمية و التغذية

الصحية و إلا ستبتر رجله اليمنى التي عشعشت فيها نسبة السكر العالية.. وقد بدأت الغرغرينا تزحف نحوها.

صغى مستسلما لقدره، وابتسم ابتسامة كبيرة لا تحمل أي مدلول، حين رآه الطبيب يبتسم قال له:

"طالما ما زلت تبتسم بعفوية، فكل الحرائق التي بداخلك.. وكل الأمراض الفتاكة التي تنهش جسدك لن تدمرك ولن تتغلب عليك أبدا.."

أما هو فقد كانت ابتسامته لقناعته.. أنه لم يرث من المرحومة والدته فطومة سوى العزلة.. والنصائح.. و الأمراض و. السمنة المفرطة.

أب مع وقف التنفيذ

فتحْتُ عينَي في بيت فسيح مكون من طابقين.. يقع وسط القرية.. فوق هضبة منبسطة تطل على كافة الأرجاء، وكل أفراد أسرتي يعيشون تحت كنف جدي وسلطة جدتي.

كان بيتنا يعج بالأطفال.. كنا تسعة أطفال أنا أصغرهم، وعمي الثاني أصغر من أبي بعدة سنوات.. وزوجتيهما إحداهما امي و الاخرى نناديها حبيبة.. أما عمي الثالث.. فقد كان أعزب بلا زوجة.. وأكثر رجال العائلة شبابا.. وأصغرهم سنا.. اشتهر بيننا نحن الصغار بلقب (خويا).. ولم يكن أخا لنا بل عمنا الأصغر.

الرجال يعملون في الحقول تحت إمرة جدي.. والنساء يعملن في المطبخ تحت سلطة جدتي.. تجمعنا كلمة واحدة.. مائدة واحدة عند الأكل، وفرح واحد كلما اجتمعنا، أما الحزن فنستعين ببعضنا للتغلب عليه..

كثيرا ما كنت أتساءل مع نفسي لماذا أبي ينام في غرفة حبيبة.. وعمي يشاركنا الغرفة .

ذات مساء سألت والدتي وهي تمشط شعرها بمشط (القرن).. لماذا عمي يقيم معنا في الغرفة و ليس أبي ؟!..

ضحكت حتى استلقت على ظهرها قائلة وضحكها متواصل:

(واش ابغيتي تسفيطنا الحبس) يجب ان تفهم أن علال ليس عمك بل والدك.. ورحال ليس والدك، بل عمك.. وحبيبة زوجته.. وباقي الأطفال بعضهم أبناؤه و اعدتهم بالاسم.. والباقي ابناء المرحومة عمتك لعزيزة.. جميعهم ليسوا ابنائي.. انت وحيدي إلى حد الآن .

بدت لي الأمور معقدة.. لم افهم وأنا في سن الخامسة من العمر.. وقبل ان استرسل في الأسئلة قاطعتني موضحة:

(" لقيتي اولاد عمك يضربوا في البندير.. و يتحيروا و اتحيرت معاهم)..

حين رأتني فاتحا فمي عن آخره.. دلالة عن عدم فهمي.. واصلت شرحها لي قائلة:

حين وُلِدتَ، وجدت أبناء عمك ينادون والدهم بأبي فسايرتهم.. كما وجدتهم ينادون والدك بعمي (فَعُمْتِي على عُومْهُم) وناديته عمي.. كما وجدتهم ينادون على العم الثالث (بِخُويَا) فاتخذته أخا .

رغم أني عرفت الحقيقة.. واستوعبت تفاصيلها مع الأعوام و السنين إلا أن لساني تعود على مناداة أبي بكلمة عمي.. لم أناديه يوما بأبي.. حتى إخوتي الذين انجبتهم أمي بعدي.. ساروا على نهجي و ظلوا ينادون أبي بلقب عمي..

لم يعترض أبي يوما ولم يحتج.. وهو يرى ابناءه ينادونه بعمي.. ظل حنونا علينا ويستجيب لمطالبنا .

مات جدي وماتت جدتي.. ولم يحتج أبي على كلمة عمي..

حل الجفاف ورحل من رحل.. ولم يتأفف أبي من كلمة عمي حتى لما كبرنا وكبرت معنا..

وهـو ممـدد علـى فـراش المـوت يحتضـر، صـامتا دون حركـة وحولـه الجميـع.. انحنيـت عليـه قبلـت جبينـه.. واقتربـت مـن أذنـه.. وقلـت لـه بصوت خافت لا يسمعه إلا هو:

الله يشـفيك أ بّا).. كنـت أبي وسـندي.. كنـت والـدي وعضـدي.. وستظل أبي.. (واش أَسْمَعْتني ا بّا)

ابتسم دون ان يلتف الي، رفع سبابته.. نطق الشهادتين والكل ينظر إليه.. ثم فاضت روحه إلى الله..

ظل وجهه مبتسما وكانت آخر كلمة سمعها هي (بّا) التي تعني أبي.

تلك الكلمة التي لم يسمعها منا طوال حياته .

تلك الكلمة التي يتزوج العديد من الرجال من أجل سماعها.

قُبَيْلَ الغُرُوب

يتذكر أنثاه كلما وضعوا أمامه فنجان قهوة، لأن القهوة هي الأخرى في نظره أنثى سمراء، كان يشعر بأناقة قهوته حِسا.. وبعطرها سِحرا.. وبمذاقها عذبا.. كعذوبة شفتيْ أنثاه كلما انحنى يقبلها..

كانت أنثاه سمراء.. ومزهوة بحروف اسمها التي ترمز إلى السُّمْرة والسَّمَر.. لذلك بدونها لا يحلو له السمر.. ولا يزهوفي جلسته القمر..

تغيب بضع سويعات فيتحول غيابها إلى فراغ، ويتحول الفراغ إلى قلق.. فيصبح القلق صمتا، وينقلب الصمت إلى دقات مزعجة لساعة كبيرة معلقة أمامه وعلى جدار الغرفة.. وهو ممدد على السرير، يحارب الوقت والوحدة، باسترجاع الذكريات، ذكريات اللقاءات الأولى، وشريط حياته، في انتظار عودتها.

وحين تعود، و يراها مُقبلة نحوه مُبتسمة.. كأميرة بثوب أبيض فضفاض، أو حمامة تحلق فوق المراعي والمروج.. يفيض شيطان شعره وَحْيا والهاما..

كان فيما مضى يلمح لها بالحب تلميحا.. ما أجمل الحب بالتلميح!.. وما الذ الاعتراف به صراحة !..

في واضحة النهار.. وأمام الملأ.

مَنْ كان يصدق على كِبر سنه.. ينفضح سره، ويتعرى حبه من ملابسه عِشقا و اشتياقا..

يُخْرجه حبه من وقاره.. فينسى أنه تجاوز الستين.. وأنه تقاعد عن كل مهامه الإدارية ما عدا الحب..

لا زال مُصِرا ألا يعد عمره كغيره من العشاق بتاريخ ميلاده.. حيث يتحدد في الشهر والسنة.. بل بتاريخ حبه لأنثاه لحظةً بلحظةٍ.

حبه لأنثاه يراه نبتة هوى بأرض عشق تحيي بالإحساس.. وتنتعش بالاهتمام.. ولا مكان لِتِعْدّاد السنين كلما تعلق الأمر بنُمو نبتة الحب..

الحب في نظره لا ينحصر في مرحلة الشباب.. ولا يعرف سنا للتقاعد.. ولا عذرا للانسحاب.. ولا تزعجه التجاعيد و إنْ بَدَتْ.. ولا يشيخ مع الأيام.. بل يتجدد مع كل نظرة حب.. مع كل ابتسامة منعشة.. مع كل لمسة حنان على اليد.. مع كل قبلة على الخد.. أو مبسطا ذراعه على كتفيْها.

يتحرر حبه من قيود التقاليد الجاثمة على صدره.. ويحرره من الأنانية، والصمت، و إخفاء المشاعر..

كل مشاعره التي كان يكتمها.. يقمعها.. يخفيها عن الجميع دون أن يعبر عنها علنا.. خوفا أو خجلا.. لم تمت.. لم تتبخر.. ما تلاشت أبدا.. بل توارت خلف الكتمان.. اختفت خلف الصمت.. ربما أياما وربما سنينا.. لكن حين رأت الوقت مناسبا.. والآذان صاغية و الفرصة مواتية.. طفت من الأعماق و تدفقت للوجود على شكل نظرات.. عبر خواطر و قصص و حكايا.. تعبر عن نفسها.. عن وجودها من خلال مواقف.. من خلال مشاهد.. من خلال لحظات حية لا تموت ولا تمحى من الذاكرة.

سينطلق مع حبه.. مع أنثاه.. مع عطر قهوته.. تقودهم أحلام لا تعرف المستحيل في التعبير عن المشاعر.. ولا مكان للشيطان بينهم إلا شيطان شعره..

ما بال أنثاه لا تصدق ما يقوله.. ما يحسه.. وهو أن مذاق قبلتها ومذاق القهوة لا يختلفان ذوقا.. وأريج جسدها وعطر قهوته لا يتباينان شما.. ولا يمكنه الاستغناء عن كل منهما.

كلتاهما رفيقته في الحياة.. القهوة رفيقة مزاجه.. وأنثاه رفيقة دربه .

كلتاهما تُوَلّد فيه إحساسا.. يُخَدر مشاعره سويعات النهار..

كلتاهما يتجدد معها اللقاء في كل التقاء.. ويرافقه أنسهما إلى أن يقوده النوم حيث الأحلام..

لكن في الأحلام أثناء النوم تغيب القهوة وتأثيرها و تبقى أنثاه بجانبه.

الهدية

في ليلة عيد ميلاده كان واثقا أنّ لا أحد سيهديه هدايا.. فهو فقير ومن عائلة معوزة، متكونة من أمه واخ مغترب بإحدى الدول العربية وأخت متزوجة و مقيمة بجنوب المغرب بالإضافة إليه باعتباره الأخ الأصغر، لذلك لم يحض بهدايا طوال حياته.. فقرر ان يبادر و يدخل الفرحة على أمه، وعلى خطيبته بشراء هدايا لهما.. وهو يعلم أن هذا العيد لا هو (عيد الام) ولا هو (عيد الحب).. بل عيد ميلاده.

حار في أمره رغم بساطة الموضوع.. مُتَسائلا مع نفسه.. لمن تكون الأولوية في شراء الهدايا و تقديمها.. لأمّه التي تجاوزت السبعين بسبع سنين.. وهو وحيدها.. أم لخطيبته التي لم تتجاوز العشرين من عمرها.. وهو حبيبها..

فكر كثيرا في الهدايا وفي نوعية الهدايا وفي الاخير قرّر أن تكون رمزية مستحسنا مبادرته.. لعل هذه المفاجأة تخلق التوفيق بين خريف والدته وربيع حبيبته..

حين ولج باب سوق مدينتهم الأسبوعي عدّ النقود أكثر من مرة.. ثم أعادها إلى جيبه.. مُمْسكا بها حتى لا تضيع.. وهو يفكر في الهدايا التي تتناسب والمبلغ.. وتتناسب ودخله المتواضع الذي يحصل عليه من اشتغاله في مكتبة لبيع الكتب.. كان راضيا بأجره الزهيد.. قانعا بمحدودية أحلامه.. وسعيدا بحبه الكبير، وهو يصول ويجول بين الكتب.. وقد وزع ساعات عشقه بين أمه و حبيبته، وأمهات الكتب.. لم يكن يعلم أن أحلام حبيبته أكبر من جيوبه.. و مطالبها أوسع من قدراته المادية..

فرحت أمه بكيلو حنّاء مع لوازمها هدية منه.. وبنفس النشوة والفرحة انتقل إلى حبيبته.. لكن الفرحة لم تَدُمْ.. والنشوة لم تَطُلْ، إذْ غضبتْ منه قائلة:

"(أتهديني وردة حمراء، و تترك الذهب الأصفر يتلألأ في واجهات دكاكين الصّاغة..)"

وانطلقت في عِتابِها دون توقف:

(" وردة يا مصطفى.. وردة.... وردتك لا تصلح طعاما أملأ به بطني.. ولا حِلِياً أزين بها عُنُقي وصَدْري.. ولا عِطْرا أنْعِش بأريجه روحي

وذاتي.. ولا أدوات التجميل أزين بها ملامح وجهي.. وأتجمل بها كبنات جيلي.. وردة يا مصطفى!.. وردة ! ")

واصلت عتابها بصوت مرتفع أشبه بالصراخ:

(" آه يا مصطفى.. وردة !.. و كأنّ الذهب مفقود بمدينتنا.. ")

ما آلمه أكثر أنها داستْ على الوردة بقدميْها ثم رحلتْ غاضبةً.. دون أنْ تلتفتَ إليه أو تودعَهُ.. وهي لا تدري كَمْ تَعِبَ للعثور على تلك الوردة.. في سوق أسبوعي أغلب مواده غذائية أو فلاحية.

العطاء

لا شيء يعوق العطاء.. إلا البخل.. ولا أحد منا في العطاء معاق.. إلا البخلاء..

مسيرة العطاء تبدأ بابتسامة.. تليها كلمة طيبة بوعد صادق.. والباقي يأتي من تلقاء نفسه..

كلما طلبت كوثر من زهير التقدم إلى أسرتها لطلب يدها من أجل الخطبة و الزواج.. بعد عدة علاقات بينهما.. خارج إطار الزواج.. عبس و تولى.. وأخفى وجهه خلف القناع.. وتحجج بظروفه و حالته المادية.. و غلاء المعيشة.. وجعل منهم إعاقة تحول بينه و بين أمانيه.. حتى يشعرها بأنه أشبه بالمعاق و يحتاج إلى مساعدة بدل الضغط عليه .

ذات مساء.. جاءها من اقصى المدينة يجري و يلهث مبلغا إياها بأنه عثر على عقد عمل في الفلاحة بدولة إسبانيا.. ويحتاج مبلغا ماليا للحصول على العقد..

باعت كل حليها من الذهب.. و أضافت إلى ذلك، كل ما ادخرت من مال للعرس و للمستقبل.. و سلمته إياه..

تسلم و انسل.. سافر ولم يتصل.. رحل ولم يعد.. انتظرت وطال الانتظار حتى تجاوزها القطار بعدة محطات، ولا زالت تنتظر.

ذات يوم وكوثر في حمام بلدي تقليدي تستحم.. التقت بإحدى قريبات زهير.. أثناء دردشة طويلة بينهما في قاعة ساخنة يقال لها (البرمة السخونة).. كشفت لها قريبة زهير عن سر عَمَّرَ طويلا.. سر دام سبع سنوات..

كان السر أن زهير لم يسافر إلى اوروبا بل إلى مدينة وزان، حيث تزوج هناك، و فتح مشروع بيع الأواني البلاستيكية بدكان في ملكية زوجته التي ورثته عن والدها، وقد انجبت له إلى حد الآن بنتين و ولدا..

ابتسمت كوثر بمرارة، وبكت بلا دموع، وهي التي لا زالت تنتظر عودته من إسبانيا رغم مرور سبع سنوات .

سبع سنوات مرت من عمرها.. وهي في حالة انتظار و جمود لحالها..

خسرت سبع سنوات من عمرها.. وهذه هي الخسارة الوحيدة في حياة الانسان التي لا تعوض ابدا..

هو لم يسرق حليها و ذهبها فقط بل سرق الأغلى.. إنه الشرف.. لذلك لم تتزوج.. وظلت تنتظره خوفا من الفضيحة .

هو لم يدمر قلبها فقط بل دمر الحب الذي ينعش القلب.. لذلك لم تتزوج وظلت في انتظاره..

هو لم يبعثر أوراق علاقته بها، بل بعثر ما هو أقوى في العلاقات.. الثقة بالآخر.. لن تثق كوثر بعد اليوم في أي مخلوق .

أخطر معاق قد تصادفه في حياتك.. هو البخيل في مشاعره.. أو الجاحد ناكر الجميل.. أو المخادع الذي لا يفي بوعوده.

سافرت كوثر إلى مدينة وزان.. ورأته هناك.. وحين تأكدت لم تقم باي ردة فعل بل التزمت الصمت و عادت أدراجها..

فات الآوان على اتخاذ أي اجراء.. هكذا اقنعت نفسها.

مشروع نزوة

عاد إلى بيته جائعا ومُتعبا من كثرة الاجتماعات قُبيل آذان المغرب.. كان البيت هادئا، والضوء فيه خافتا.. لا حركة ولا هرج.. صفق بيديه.. وصغى بأذنيه.. لا سامع ولا مجيب.. نادى على زوجته بأعلى صوته.. فجاءته الخادمة تتعثر في استحياء.. لا أحد في البيت يا سيدي.. ذهبوا لتقديم واجب العزاء لجارتنا.. أبلغتْهُ بكلمات مضطربة.. رفع رأسه.. ونظر إليها من الأعلى إلى الأسفل.. ثم من الأسفل إلى الأعلى.. مُمْعِنا النظرفيها.. مُخاطبا إيّاها مُشتهيا ذلك الجسد الطري قائلا:

آه.. .آه.. تذكرت حسنا.. "

حاولت الانصراف.. فاعترض طريقها آمرا:

هيئي لي الطعام.. لا.. لا.. بلِ الأفضل أن تقومي بتدليك كتفيَّ بيديك الناعمتين.. .

شرعت هي في التدليك و شرع هوفي التخطيط.. لولا أن سمعا طرق الباب.. طرقات عالية و متتالية.. من طرف الزوجة والأولاد.. هرعت هي لفتح الباب.. و حمل هو بين يديه كتابه المفضل.. الذي يحاضر منه لأتباعه و متابعيه.

كتاب عنوانه..

كيف تدافع بالحجة عن حقوق المرأة ؟..

سلوى الخادمة ليست فتاة للتسلية، ولا مناعة ثقافية لديها.. ولا خبرة ذاتية تحصنها من هجوم الذئاب نحو جسدها البض الطري.. فهي طفلة قاصِر في حدود ستة عشر سنة من العمر تقريبا.. لا تملك تاريخ ازدياد محدد وغير مسجلة بالدوائر الرسمية وفي سجل الحالة المدنية.. ولم يسبق لها ولوج المدرسة بمنطقتهم الجبلية النائية.. ولا تعرف شيئا عن وحشية المدنية المزيفة..

اليوم انجتها طرقات الباب وحضور الزوجة والأولاد.. لكن غدا في فرصة أخرى مواتية من سينقدها من أنيابه؟!

ويقول المثل ليس في كل مرة تسلم الجرة..

إذا قادتك الظروف إلى سوق النخاسة.. و وجدت نفسك في أحد المواخير.. ملاهي ليلية ومراقصها.. فاعلم أن وراء كل جسد مشاع تراه أمامك قصة محورها ذئب و فريسة .

أمنية واهية

كانت حبّه الأوّل.. عشقه الاول.. أحبها من اول نظرة.. واستمرت النظرات.. فتبعتها ابتسامات إلى أن تولدت بينهما علاقة.. و اتفقا على ألا يزرعا في قلوبهما إلا بذور الحب ليجنيا معا ثمار الوفاء لحبهما..

وفي قمّة العشق والوله.. في أوج شبابهما.. اختفت.. تبخرت.. قيل هاجرت إلى اوربا وربما إلى كندا.. لا أحد يعلم.. ولم تترك لها أثرا..

حين غابت فقد نفسه و تاه.. خصوصا وقد نزعت قلبه من بين ضلوعه.. و أخذته معها ضمن امتعتها التي رحلت بها.. ولما طال الغياب و الاختفاء.. سنوات و سنوات.. و تجاوز الثلاثين.. ويئس من عودتها أو العثور عليها.. تزوج بامرأة تشبهها.. و أطلق على ابنته البكر اسمها.. وكل ما كان يتمناه في حياته هو أن يراها قبل أن يموت.. أن يراها ولو لحظة.. ثانية.. أن يملي النظر فيها.. ويعرف سر اختفائها.

بعد ثلاثين سنة.. وهو بالكعبة يطوف طواف الوداع.. سمع صوتا حريميا يناديه باسمه لكن بلهجة مغربية سليمة:

"..يا الحاج قاسم.. يا الحاج قاسم "..

التفت إلى الصوت.. و أمعن النظر في صاحبته.. ثم وقف يحدق فيها مليا بمزيج من الحيرة والشك و التساؤل حول من تكون هذه السيدة ؟!..قَلْبُه تعرف عليها قَبْلَه، فبدأ ينبض بقوة متسائلا عن غيابها الطويل.. و لقائها الأغرب في مكان رباني بعيد عن بلدهما.

قاسم رجل في أواخر عقده الخامس.. أثقل كاهله عشق ضائع، وزمن ظالم.. وحسرة لازمته العمر كله.. جاء إلى العمرة في رمضان ليدفن ماضيه.. فإذا بامرأة في أواخر الأربعينات تنبعث من رماد لإحياء ماض سحيق.. و تطرق باب ذلك الماضي بقوة لإعادة الروح إلى زمن راح.. زمن الحب الأول .

قالت له مبتسمة:

أما عرفتني ؟!..

صحيح الملامح تغيرت قليلا بفعل السنين.. والسمنة طغت على قوامها.. لكنها هي.. صوتها بل نبرة صوتها لم يتغير.. ابتسامتها..

نظرتها.. بريق عينيها.. خفة روحها.. كل هذا لم يتغير فيها.. تأكد منها.. من دقات قلبه التي نبضت بقوة عند رؤيتها.. لم ينطق بكلمة.. حتى تحية الإسلام وهي السلام لم ينطق بها.. وهو ينظر إليها بدهشة امتزج فيها الفرح بالحزن و بالصدمة..

دخل في دوامة من الأسئلة قادته إلى شرود لثوان ثم عاد إلى رشده مستغفرا ربه .

ابتسم ابتسامة بلهاء طويلة.. ليس لحبه الأول.. ولكن لأنه تذكر قولة شيخه عابد الحرمين العلامة الفضيل بن عياض وهو يوصي أحد أتباعه قائلا له:

إياك أن تدل الناس على الله ثم تفقد أنت الطريق إليه.. في لحظة عشق دنيوي"..

وخوفا ان يفقد طريقه.. في عشقه الدنيوي.. واصل سيره في طريق الطواف دون ان يلتفت وراءه.. أو يعرف كيف تركها خلفه!..

ترك في عيونها حيرة تجلت في برودة اللقاء.. كما تركت في عينيه سابقا حيرة تجلت في قسوة الفراق..

فقد علم أنداك أنّ أمنيته الوحيدة الممثلة في رؤيتها.. لم تكن ذات معنى.. وأدرك أن لا وجود لوهم اسمه الحب الأول..

وأنه كان يقاتل بغباوة طوال هذه السنين من أجل وهم..

لأول مرة روحه الضريرة ستبصر الحقيقة.. وتتحرر من وَهْمٍ عَمَّرَ طويلا..

ما أجمل العقل الرزين حين يخرج من رماد جنون الحب الأول!..

سيارة إسعاف الجماعة

كان الأستاذ نجيب يقوم بتلوين خريطة المغرب بعد رسمها على السبورة بقسمه المشترك الخامس و السادس.. بوحدة مدرسية تبعد عن المركزية بسبع كيلومترات.. فجأة سمع صياحا، وبكاء، وصراخا، قادما من القسم المجاور..

انطلق مهرولا إلى مصدر الصوت.. إنه قسم الأستاذة سوسن.. مُدرسة قسمي الأول و الثاني.. فوجئ بها مرمية على الأرض في حالة إغماء، والمتعلمون في حالة خوف و هلع..

نادى على زميلته رقية لمساعدته على انقاد سوسن من الإغماء.. وضعت رقية قليلا من عطر أخذته من قارورتها العطرية.. وضعته على أنف سوسن دون جدوى.. وضع الأستاذ نجيب المفاتيح في يديها.. بلا طائل.. استعانا بحبة بصل لعل سوسن تصحو من الإغماء، لكن العملية لم تعط نتيجة..

اتصل نجيب هاتفيا بزميله إدريس أستاذ اللغة الفرنسية بالمركزية:

"آلو خويا إدريس الأستاذة سوسن مغيبة ومرمية في القسم.. ما اعرفنا آش انديرو.. عفاك كول المدير اتصل برئيس الجماعة يبعث لينا سيارة الإسعاف".

تفاعل إدريس مع المكالمة، واتصل المدير برئيس الجماعة.. لكن سيارة الاسعاف تأخرت ثلاث ساعات، لأنها كانت في مهمة خارج تراب الجماعة.. وهي السيارة الوحيدة المملوكة للجماعة.

فوجئ نجيب ورقية وهما يضعان سوسن بسيارة الإسعاف أن السيارة خالية من الأجهزة الطبية.. لا اوكسجين ولا طبيب ولا أدوات طبية ولا اسعافات اولية ولا يحزنون.. واقرب مستشفى بالمدينة يبعد عن الوحدة المدرسية بسبعة و ثلاثين كيلو متر تقريبا .

أعلن طبيب المستشفى بعد فحصها أنها توفيت منذ نصف ساعة تقريبا..

اتصل نجيب بزميله ادريس وهو يبكي بحرقة:

" (الو.. خويا إدريس الأستاذة سوسن ماتت.. سوسن الله يرحمها آخويا إدريس.. كولها المدير.. خويا إدريس الدايم الله.. وكول عبد الله لي

كان ناوي يخطبها.. البركة في رأسك.. كول الاخوان كلهم رآ سوسن الآن في مستودع الاموات.. اللي ابغى يتسامح امعاها) "

الأستاذة سوسن لم تكن تعاني من امراض القلب، أو الشرايين، ولا من مرض السكري أو ضغط الدم.. ماذا جرى لها ؟.. لا أحد يعلم.. لعله الضغط النفسي وربما العصبي.. فقط التشريح الطبي الذي سيكشف أسباب الوفاة .

سوسن المراكشية لا زالت شابة.. تبلغ من العمر أربعة وعشرنن سنة.. لم يمض على ممارستها لمهنة التعليم إلا سبعة أشهر.. منذ تعيينها إلى لحظة وفاتها، لازالت لم تحصل بعد على الراتب الشهري، ولا على رقم التأجير الخاص بوظيفتها..

في الغد نشرت مديرية التعليم للإقليم نعيا في حق الأستاذة سوسن وانتهى الأمر..

أما إجراءات الجنازة ومصاريفها، فليست من اختصاص المديرية.. بل من مسؤولية اسرتها المكلومة..

وعلى اثر ذلك تكلف نجيب و رقية زميلي المرحومة سوسن بنقل كل مقتنياتها، و ملابسها من مقر سكناها بالوحدة المدرسية إلى بيت ذويها.

ما أصعب نقل حاجيات المتوفي إلى والديه!.. حيث يدمي الجرح من جديد، ويتكرر المأتم من جديد، و البكاء و النحيب.

حب من قوس قزح

عبد القادر الشوكي من اثنين شتوكة ناحية الوجة إقليم الجديدة أحب زميلته زهرة، التي تدرس معه بنفس الثانوية .

أحبها دفعة واحدة، بشحنة قوية، من أول نظرة.. في اول لقاء جمع بينهما وهما على مقاعد الدراسة سنة اولى باك بثانوية ابن تومرت في أواخر الثمانينات من القرن الماضي.. وأزهرت هذه الزمالة على علاقة حب بينهما، لكن عندما حل الفراق ولنسيان ما حصل.. ظل عبد القادر وحده يدفع ثمن ذلك على دفعات واقساط لسنوات طويلة.

جمعت بينهما الثانوية، والفصل، والإعجاب.. فقد قضيا سنتين بالثانوية معجبين ببعضهما، وثلاث سنوات بالجامعة عاشقين لبعضهما.

وحين وحّدت بينهما الأحلام والأماني، و الرغبة في الارتباط.. شاركا في مباراة توظيف بالمدرسة العليا للأساتذة.. نجحت هي ورسب هو، لكن تضامنا مع حبهما.. ولضمان استمرار علاقتهما.. لم تلتحق بتلك

الوظيفة.. فأعادا الكرة في السنة الموالية، حيث خاضا مباراة توظيف الأساتذة بالتعليم الابتدائي.. نجحا سويا والتحقا بمدرسة تكوين الأساتذة معا..

أثناء التكوين.. تقدم لخطبتها فاعتذرت لأسباب عائلية.. بعد التعيين تقدم لخطبتها فطلبت التأجيل.. إذ تعينت زهرة بمدينة مكناس، و تم تعيين عبد القادر بنواحي تارودانت.. استمر التواصل بينهما مستمرا عبر التراسل.. لكن فيض الرسائل من جهته تواصل، ومن جهتها ظل يقل.. ويجف.. يقل.. و يجف، حتى انقطع..

في العطلة الصيفية وهو يستعد لملاقاتها، تبلغه أخته أن زهرة تزوجت بموظف مرموق ويحمل صفة مستشار جماعي.. من أهل مكناس.. وانها حامل و تنتظر مولودا..

تولد عن الخبر صدمة.. وتحولت الصدمة إلى انتكاسة.. فحاول أن ينزع كل ما يذكره بها من ذكرياته ولم يفلح.. كما حاول أن يمحي كل صورها من ذاكرته فلم ينجح.. ان يحرق ماضيها، ومن رماده يخلق حبا جديدا من علاقة جديدة.. فلم يتوفق.. إذ ظل يرى طيفها في كل الأماكن التي يزورها..

انغمس في العمل بضواحي تارودانت مرهقا نفسه لعله ينسى..

ظل يشتغل في تلك المناطق الجبلية عبر وحدات مدرسية متباعدة فيما بينها.. دون تفاؤل أو أمل .

تغيرت ملامح وجهه، ذبلت نظارة بشرته، اختفت بشاشته، وتراجعت وسامته.. لأنه استسلم للحزن.. الذي خيم بدواخله منذ افترقا، ولم يستطع نسيانها.. جعل منه الهم و التفكير شيخا قبل أوانه.. و نحيلا دون رياضة أو حمية.. منطويا.. مكتئبا يستعين بالأدوية ليخرج من تلك الأجواء

ما يؤلمه أكثر وإلى يومنا هذا. أنه لم يعرف سر انقلابها عليه.. ولم تبلغه سر اختيارها لغيره..

وكأن الذي كان بينهما.. كان مجرد وهم و سراب.. مثل قوس قزح ينكشف ثم يختفي و كأنه لم يظهر..

لم يعرف من سرق أحلامه.. وعوده.. عهوده.. أحاسيسها نحوه.. ومشاعرها تجاهه.. من سرق كل هذا في ظرف سنة.. سنة واحدة فقط.. وقد عمّر حبهما أكثر من خمس سنوات .

مَنْ خان حبه واختفى؟!..

ومَنْ سرق أشواقه و هرب؟!.. هرب و تركه وحيدا يتجرع وحدته..

كلما اشتاق إلى ابتسامتها أو إلى صوتها الرخيم.. و ذكرياته معها.. استسلم لسماع مقاطع من أغاني كوكب الشرق أم كلثوم، بصمت عميق وألم يحرق الصبر ويفنيه.

عنوان الصمت

دعت المعلمة هبة في حصة فهم المقروء، بمادة اللغة العربية متعلميها، بالتزام الصمت والاستماع إلى نص بعنوان صمت اليتيم..

وانطلقت تقرأ عليهم.. بصوت جهوري..

النص:

" تعود الأستاذ علال ان يسأل متعلميه بالمستوى الأول عن احوالهم الشخصية مع بداية كل سنة دراسية.. فظل يسأل كل واحد على حدة حتى وصل إلى طفل منطو عن نفسه فسأله:

وانت ماذا يفعل والدك؟!.

لم يكن للمتعلم أي جواب إلا الصمت.. ظل صامتا ولم يجب.. كرر الأستاذ السؤال، وفي كل مرة يزداد الطفل اصرارا على الصمت، فقد الأستاذ أعصابه، وبنرفزة عصبية وصوت عال صاح:

ألا تعرف ماذا يشتغل أبوك؟!..

رفع الطفل رأسه ببطء.. وفي هدوء مرتبك قال:

لا.. لا اعرف.. تقول امي حين مات والدي وضعوه في القبر، ومنه صعد إلى السماء.. ولا اعرف ماذا يفعل هناك؟.. ولم أسال امي عن ذلك.. "

صمتت الأستاذة هبة لتوان حتى تأخذ نفسا، ثم واصلت قراءة النص:

" الأستاذ صفعه الجواب فدخل هو الآخر في صمت لأنه كان يعلم أن الصمت موقف، وأن لكل صمت عنوان إلا صمت اليتيم في المواقف الحرجة ".

عندما انتهت من قراءة النص طرحت عليهم مجموعة من الأسئلة.. وجاءت الاجوبة مختلفة لكن ما لم تكن تتوقعه هو السؤال الذي طرحه عليها أحد التلاميذ في نهاية الحصة قائلا:

" معلمتي.. لو كان هذا الأستاذ يتيما، وعاش اليتم، هل كان سيطرح هذا السؤال المحرج لليتامى و المعوزين علنا في قاعة الدرس؟!..

اندهشت المعلمة الهام ولم تجب لانها عاشت يتيمة في كنف عمها عندما مات والداها في حادثة سير بالطريق الرابطة بين الدار البيضاء والرباط.. وتعرف كم كان يحرجها هذا السؤال وهي طفلة، أمام التلاميذ في القسم.

للصمت ألف معنى.. فقد يكون وراء الصمت.. حيرة أو غيرة.. للعشاق والمحبين.. وقد يكون خلفه أنين أو حنين للفقراء والمحرومين.. وقد يجر معه ألما للمرضى أو ندما للمستغفرين.. وهذا يدل على أن للصمت ألف موقف.. فلا تقلل من قيمة الصمت..

لكن أقسى ظروف الصمت قد تصادفه.. ألا تجد كلاما معبرا ومناسبا يخرجك من صمتك الرهيب.. مثل صمت اليتيم.

وأنت تعلم طفلا ما.. معلومة ما.. تكتشف أنك تتعلم منه أكثر ما تعلمه. هذا ما استنتجته الأستاذة الهام.

خطط أم فهد

منذ فتحت السعدية قناة في اليوتيوب تحت اسم ام فهد، وهي تحارب، و تقاتل من أجل رفع نسبة المشاهدة، و عدد المتابعين.. فتنتقل من محتوى إلى محتوى، ومن محور حرفة إلى محور آخر دون فائدة، لأنها اكتشفت ان عالم اليوتيوب محيط لا امن فيه، ولا ضفاف له، و الحوت الكبير فيه يأكل بلا رحمة الحوت الصغير..

طيلة ثلاث سنوات لم تستطع ام فهد تجاوز سبعة آلاف متابع.. رغم كل الحرف و المهن و الأنشطة التي مارستها في قناتها .

ذات يوم جمعت ام فهد صويحباتها وجلست تعترف لهن عن خيبتها وفشلها قائلة:

تعبت من رائحة النفاق التي أشمها من المتتبعات والكذب والنصب من صاحبات القنوات..

ما عدت أستطيع الاستمرار في العمل بالقناة أو حتى متابعة باقي القنوات، لأن رائحة النفاق تخنقني، مهما حاولت أن اكابر وأجاهد تظل أنفاسي مخنوقة ولا استطيع الاستمرار في المتابعة..

فقاطعتها أقرب صديقة لها قائلة:

كلنا نعلم أن أجواء قنوات اليوتيوب أصبحت ملوثة.. عنوانها التفاهة ومظهرها السذاجة و سلاحها قلة الحياء .

فواصلت ام فهد اعترافاتها متأسفة:

آه.. لولا الفقر ما أنشأت القناة.. ولولا الفراغ ما تابعت ولا تتبعت تلك القنوات.. كنت افعل طمعا في تعلم الطبخ.. والاستفادة من خبرات محترفي الطبخ.. فإذا بي أساق مع القطيع من المتابعات.. وقد أصبحنا مثل الحيوانات المهجنة أو القطيع المغفل الذي يمشي خلف المرياع ذي الهيبة المغشوشة.. حيث تسوقنا صاحبة القناة كالنعاج للهجوم على متابعة انتقدتها، فننطلق مثل كلاب الصيد نحو الفريسة.. ننهج لحمها بالسب و الشتم.. أو تأمرنا بالهجوم على متابعة شخص آخر دفع لها مقابل ذلك.. ونحن مسلوبات الإرادة..

اليوم سأتوقف عن النشر في القناة وعن المتابعة.. و سأبحث لنفسي عن مصدر آخر للرزق و للمعرفة..

لكن إحدى صويحباتها كان لها رأي آخر إذ قالت لهن:

طالما السب والشتم بالكذب في الخلافات.. وقلة الحياء يجلبون المال.. ويحققون الشهرة بأكتاف باردة.. غير مشمره.. وسواعد خمولة.. متكاسلة.. فلِمَ لا ننهج منهجهم ونسير في ركبهم.. دون أن نسأل أو نبحث إن كان ذلك حلال ام حرام ؟.. هل فيه نصب واحتيال أم لا؟..

خيم الصمت على الجميع.. وفي راس كل واحدة منهن ألف خطة.. وألف جواب لكل سؤال.. فخرجن من صمتهن بالرسم والتخطيط عن عالم افتراضي كله خلق و إبداع .

بعد خمسة أيام ستظهر خمس قنوات ناقدة ومنتقدة يضربن يمينا وشمالا سبأ و شتما في بعضهن مختلقين خلافات بينهن، وكشف لعوراتهن.. والمتابعات عددهن يرتفع يوما بعد يوم.. ونسبهن تزداد.. والمداخيل بالملايين تتهاطل عليهن..

استمرت قناة ام فهد وقنوات صويحباتها في خلافات مفتعلة وقصص مفبركة و صراعات مختلقة.

جعلت شهرتهن تتعدى حدود البلد.. وثروتهن تفوق الخيال من خلافات مفتعلة كلها من خيالهن.

عطر حبيبة

نظر إلى ساعة يده.. موعد اللقاء اقترب.. وكلما اقترب الموعد، أطال النظر في ساعته.. حتى أصبح ينظر إليها في كل لحظة وأخرى..

وحين تجاوز الزمن وقت الموعد.. وبدأ اليأس يتسرب إليه.. اختار له زاوية بالمقهى.. وجلس يحدث نفسه.. يخاطبها.. يعاتبها.. يلومها في سره وأحيانا علنا.. محركا رأسه.. و شفتيه.. ويديه.. وهو يردد قائلا:

"آه.. مر الوقت.. لم تأت.. ما أظنها ستأتي.. أكيد لن تأتي..

صمت قليلا ثم أضاف:

"ربما !.. لا أحد يدري ؟!...

وضع يده على خده مواصلا حديثه:

" ما أصعب لحظات الانتظار بين اليأس و الأمل !!..

فعلتها حبيبة ولم تأت... أكيد فعلتها ولن تأتي..

ما أضيع هذه اللحظات يا حبيبة !.."

ظل عابسا مكفهرا في المقهى.. طال جلوسه حسب اعتقاده.. فطلب فنجان قهوة سوداء بدون سكر.. وأضاف تجهمه إلى تجهم السماء بالغيوم .

حين وقف النادل عن يمينه يضع فنجان القهوة.. مرت عن يساره حبيبة.. فاحتار في أمره.. رائحة القهوة تتصاعد إلى أنفه، وعطر حبيبة يغزو مجلسه.. أيلبي نداء القهوة أم يلحق بحبيبة؟!...

في ثوان تغيرت ملامحه، و آتخذ القرار.. تحرر من أسر رائحة قهوته. وانطلق مهرولا .

بعد لحظات، عاد مسرعا و رشف قهوته كلها في جرعتين من فنجانه.. لأنه تذكر أن القهوة مثل الأنثى إذا تركها أو أهملها ستصبح باردة بلا نكهة ولا مزاج.. ثم راح جريا لا هرولة خلف حبيبة .

الأقنعة

وقفْتُ رفقة صديقي عبد الحق بباب دكان أحمد العناية مصلح النظارات.. ونحن في انتظار إصلاح نظاراتي الطبية.. نتبادل أطراف الحديث.. تحت لافتة (نظارات العناية).. بزقاق مغلق لا منفد له.. يطل من واجهته الوحيدة على الشارع العام .

وقد طال الانتظار، فاقترح صاحبي عبد الحق الجلوس بأحد المقاهي.. وهكذا اختار مقهى شعبي على قارعة الطريق، قريب من الزقاق الذي يتواجد به دكان العناية.. فجلسنا بإحدى زواياه مستمتعين بمشاهدة المارة..

بعد هنيهة.. مّر رجل، القى التحية وهو سائر في طريقه دون توقف..

قلت لصاحبي من يكون صاحب هذا الصوت الذي يشبه صوت صاحبنا ؟..

إنه هو.. صاحبنا أبو مروان.. (أجابني وهو غير مبال).. .

بعد نصف ساعة.. مر رجل آخر، وألقى السلام وهوسار في طريقه..

قلت لصاحبي مستفسرا، و هذا من يكون ؟!..

أجابني بعصبية وبصوت عال:

" إنه صاحبنا نفسه قد عاد من وجهته.. "

استغربت.. إلى هذا الحد اصبح بصري ضعيفا ؟!..

أجابني موضحا:

"لا.. ولكن صاحبنا في كل مرة يمر واضعا قناعا جديدا.. لعله يختبرهم في هذا الصباح..

سألته:

–" ألديه أقنعة كثيرة؟"

أجابني موضحا:

- "بل لديه عشرات الأقنعة في مكتبه بالوادادية السكنية، ومئات الألسنة التي يتكلم بها في الملتقيات، وآلاف التلوينات حيث

التجمعـات.. شـبيهة بتلوينـات الحـرباء حسـب المواقـف والظروف.. بل له قناع لكل مناسبة.."

قلت له (مرتبكا وبكلمات متقطعة):

كنت أظنه صاحب وجه واحد.. لا أقنعة له

كنت أظنه صاحب قلب واحد.. لا يعرف الخديعة..

كنت أظنه صاحب موقف واحد.. ككل المناضلين الشرفاء..

قاطعني مازحا.. ضاحكا.. ساخرا:

إن بعض الظن إثم.

وجها اللون الأبيض

أطلت من النافذة.. المطلة على الشارع.. كانت الأمطار تهطل خفيفة ومنسابة..

الهام فتاة مرهفة المشاعر.. تحب المشي تحت الأمطار.. و رؤية غروب الشمس على الشواطئ.. ومشاهدة الأفلام الرومانسية باللونين الأبيض والأسود.. وتعشق حبكة القصص الغرامية ليوسف السباعي وإحسان عبد القدوس..

لذلك حين لمحت سقوط الامطار من خلال خمائل نافذتها.. قررت النزول.. اتصلت بزوجها هاتفيا وطلبت منه المجيء.. واستعجلته دون ان تذكر الأسباب.

كانت في غاية السعادة.. لبست أحلى ما عندها من الأزياء.. وتعطرت بأفخم عطر لديها، ثم تجملت.. حيث وضعت لمسات سحرية

خفيفة من ادوات التجميل، لإخفاء كل العيوب والتشوهات، وإبراز أجمل ملامح لوجهها و مفاتنه.

عندما انتهت من تبرجها، خرجت من المنزل.. وقفت تنتظر زوجها على الرصيف قرب باب بيتهما.. والمظلة فوق رأسها تحتمي بها وتتأمل المارة.. و رذاذ الأمطار يتطاير بفعل مرور السيارات المسرعة .

كان المطر يتهاطل حثاثا بحبات كبيرة على اكتاف المهرولين من المارة.. و المختفون خلف مظلاتهم من عابري السبيل.. ولم يكن البرد قارسا لان فصل كان فصلا ربيعيا بامتياز

حين رآها زوجها، ركن سيارته، ونزل مسرعا معتقدا أن مصابا قد حل بها.. أو ربما صرصورا قد أرعبها.. فهو يعلم أنها تخاف من الصراصير.. ولا تطيق المكوث حيث يتواجدون..

استقبلته بابتسامة و طمأنته على حالها.. وطلبت منه أن يتمشيا تحت الأمطار تلك كانت رغبتها.. أمنيتها.. أن تمشي تحت الأمطار مع رفيق دربها.. وتوأم روحها.. إذ تزوجا بعد قصة حب استغرقت خمس سنوات..

مشيا واليد في اليد، ورأسها على كتفه، والمظلة فوقهما، والأمطار حولهما تنساب برقة وخفة..

عند معبر كل طريق.. تطلب منه أن يسمعها كلام غزل وحب و ثناء.. ووعود بخلود حبهما واستمرار عشرتهما حتى ينجبا أطفالا.. ويستقبلا أحفادا..

كانت في ثرثرة متواصلة معه عن حماقات الدنيا.. وعن ذكرياتهما معا وهما يسرقانها خلسة من عائلتيهما.. كانت القهقهة بينهما متبادلة.. ولم يدركا أن الفراق بينهما.. يبعد عنهما بخطوتين..

على جناح الطيش.. شاب متهور في حالة سكر طافح.. يسوق سيارته بسرعة جنونية.. منشغلا بذاته.. منسجا مع موسيقى الراب.. ومزهوا بسيارته.. يخترقهما ويفرق بينهما....

عند منتصف طريق العبور.. يفترقان.. تقودهما سيارتان، هي إلى المستشفى.. هو إلى المشرحة..

لم يمض على لباسها الأبيض وهي عروسة مستقبلة إياه إلا أربعة أسابيع.. واليوم سترتدي الأبيض أربعة أشهر وعشرة أيام وهي أرملة مودعة إياه.

كم أصبحت تكره اللون الأبيض.. وتعتبره وجهان لعملة واحدة.. في هذه الحياة..

بالأمس ارتدته وهي تستقبل الحياة معه.. عروسا..

واليوم تودع حياتها معه.. أرملة.

حين امعنت النظر في وضعها.. أدركت أن الموت والزواج وجهان لعملة واحدة. كلاهما يحتاج إلى الثوب الأبيض كنقطة انطلاق في المشوار.

اما الحديد الذي كان سبب سعادتها ومأساتها فهي ترى بأسه أكبر بكثير من منافعه لأنه يسرق السعادة من بعضنا غصبا عنا...

حصاد أرملة

تَزَوَّجَ بها دون رضاها.. فقط برضى وموافقة والديها.. وهي قاصِر لا تعرف شيئا عنِ الحُب و الجِنس و الزواج.. ورَحَل عنْها بعد عشرة دامت عشر سنوات دون إذْنِها أو موافقة منها.. وهي أمّ يافعة في منتصف عقدها الثاني.. لم تختبرْ بعد معنى الزواج، والأمومة، والمسؤولية.

سافر زوجها عثمان إلى ليبيا بحثا عن عمل لتحسين وضعهم المالي و الاجتماعي.. فطال الغياب.. حتى جاءتْ أخبارُ وفاته.. على يد إحدى الميليشيات المسلحة بعد سقوط نظام القذافي .

انكمش شبابُها بِسببِ الحِرْمان.. وانكمشت هي وسط أطفالِها الصِّغار.. أحَسَّتْ أنّ شبابَها يذوب غَصْبا عنها.. و أُنوثتها تسْقط سهوا منها بلا زوج ولا رفيق.. و العيون المُفْترسة تراقب حركاتها و سكناتها.. ينتظرون منها هَفْوة.. زَلّة.. أو غَلْطة، حتى يَنْهشوا لحمها.. وهي في معترك الحياة تَمْتَهِن كل المِهَنِ اليدوية الشريفة.. وإنْ كانت مِهَنا وضيعة

تعافها باقي النساء.. تُقْبِل عليها بِجَلَدٍ وَ صَبْرٍ وَ صَمْتٍ مُريبٍ.. تصوم فيه عن الكلام و السلام أثناء عملها.. أياما و شُهورا .

مع مرور الوقت، و تراكم الهموم و الديون و مشاكلهما.. تفقد شهيتها للحديث و الابتسام خارج جدران بيتها.. شهورا وأعواما.. وهي تنتظر الفرج متلهفة.. متى يكبر صغارها.. رغم كل تضحياتها لم يفلح أحد من أبنائها الثلاث في الدراسة إذ غادروا المدرسة مبكرا..

امتهن كل واحد منهم حرفة منذ نعومة أظافره.. كانوا كلهم ذكورا فهي لم تحض بشرف انجاب بنت في زواجها .

الأوقات التي يقضيها ابناؤها في الشارع، وداخل الورشات أكثر من الاوقات التي يقضونها في البيت، وتحت أنظارها.. اهتمت برعايتهم وأهملت تربيتهم.. تركتهم يدوسون على اقدامها وهم صغار.. فداسوا على قلبها وهم كبار.. و داسوا على وجودها وهم متزوجون.. بتركها وحيدة.. في بيت آيل للسقوط.. دون زيارات إلا في الأعياد والمناسبات.. فلم تجن من حرثها أي حصاد.

في وَحْدَتِها تحْت جُنْح الظلام.. كانت تَسْتعين بالبُكاء.. لِتُسْكِتَ صُراخَ الجسد، وفراغ الروح، وأنين الجوارح في ليالي الشتاء الباردة والطويلة..

ما أصعب الأنين الذي لا يسمعه أحد!..

وما أقسى الحزن الذي لا يراه أحد !..

وما أفظع الحنين الذي لا يصحو إلا تحت جنح الظلام!.

بعد رحيل صِغارها الذين ترعرعوا و شبُّوا وصاروا رجالا.. فتحوا لأنْفسهم بيوتا جديدة.. بعيدا عن بيتها.. كلما تزوج أحدهم رحل مسرعا إلى بيت مستقل .

لما أرغمتها الظروف على العيش وحيدة في بيتها القديم، لم تَعُدْ دُموعُها طَوْعَ أمْرِها.. وأصبح كل ما فيها يبكي سوى عَيْنَيْها.. حتى ابتسامتها صادَرَتْها الكَنَّاتُ كلما زارتهن.. و بِيعَتْ راحتها في المزاد العلني لا لشيء إلاّ لأنّ حظَّها العاثر لا يبتسم..

ولأنّ الوحْدة قاتِلةٌ، والصَّمْت كابوسٌ مُرْعِبٌ، والشَّيْخوخةَ عَدُوٌ لا يرْحم.. أَلْحَقَها بعْضُ الجيران بِدار العَجَزَة رِفْقا بها وبوحدتها وبعجزها..

طالما لم تَجْنِ من مَوْسِم حَصاد عُمرها وتَعَبها من أجل ذُرِّيتها غير الوحدة والحِرمان والضياع.

أسرار في طور البناء

اعترض يوسف طريق هيفاء بإحدى زقاق حيهم العشوائي المتطفل على أطراف المدار الحضري للمدينة.. وحاول جاهدا بِجِلْبَابِه الأبيض القَصير.. و كتاب البخاري الذي يُلازمه.. أنْ يُقْنِعَ هيفاء بارتداء الحجاب.. والالتزام التَّام بتعاليم الدين..

والابتعاد كليا عن عالم الرذيلة.. والعودة إلى اسمها الأصلي (اهنية).. وختم مرافعته أنّه يحبها في الله، ويريدها أن تدخل معه إلى الجنّة.. زوجة له وأما لأولاده..

أمّا هي فكانت تُسَايِرُهُ في أهْوائه.. خوفا منه.. فهو خِرّيج سجون.. ليس لديه ما يخسره.

حوّل بوصلته.. حين جندته إحدى الجماعات الدينية.. من السطو على الممتلكات بالسرقة إلى الدعوة.. كما انتقل مِنَ السّكر والضّرب والجَرح إلى نشر تعاليم الدين باللِّين تارة وبالقُوَّة أحيانا..

لم يكن يعلم أنَّ أخاه الأكبر ابراهيم قبل ساعة.. كان يَعْبث بجسد هيفاء.. في رُكْنٍ مُنْزَوٍ.. بِأَحَدِ زوايا مسجد الحي الذي هوفي طَوْرِ البِنَاء.. وليس ذلك هو أول لقاء بين أخيه الأكبر وهيفاء.. ولا هو آخر لقاء. بل اعتادا اللقاء بين جدرانه للممارسة..

منذ توقف البناء بالمسجد.. نتيجة خلافات قضائية بالمحاكم بين المقاول والمحسنين.. وقد استغرقت القضية في المحاكم أكثر من ثلاث سنوات..

(هنية) المشهورة بلقب هيفاء نتاج أسرة مفككة.. والدها علال مساعد سائق حافلة لنقل المسافرين.. حين انجبت زوجته للمرة الثالثة أنثى تخلى عليهن ورحل حتى لا يطلق عليه لقب (أبو البنات).. أما زوجته بعد انتظار طويل.. رحلت هي الأخرى بحثا عن عمل في مصانع تعليب السردين بأكادير.. وانقطعت أخبارها..

وبقيت هيفاء وأختيها تحت رعاية جدتهن.. ولأنها الكبرى ولا معيل لهن.. خرجت مضطرة للبحث عن قوت يومها.. بكل السبل والوسائل بما فيهم بيع الجسد.. واتخذها تاجر المخدرات بالحي خليلة.. واتخذته مظلة لحماية تجارتها.. من اعتداء أي زبون.

أضـافت هيفـاء اسـم الداعيـة يوسـف إلى اللائحـة.. وأصـبح زبـونا وضيفا على الوكر، بعدما كان واعظا ومرشدا.

كنزا بنت مَنّانّة

ولدت كنزا بمنطقة جبلية نائية بتخوم الأطلسي الصغير.. من أسرة فقيرة جدا تكاد لا تملك قوت يومها.. في أوائل ستينيات القرن الماضي..

هاجر والدها يدر رفقة أسرته إلى قرية يعتمد ساكنوها على صيد السمك بقوارب يدوية ضواحي مدينة أكادير.. وكنزا تبلغ حينئذ من العمر عشر سنوات

شبت كنزا بهذه القرية المستحدثة التي اشتهرت بين القرى باسم قرية الصيادين.. قرية لا تتوفر لا على مستوصف، ولا على مدرسة، ولا بريد، ولا أي إدارة.. تنام قرية الصيادين في سفح الجبل قبالة البحر.. في هدوء تام لا يزعج نومها إلا هبوب العواصف في أيام النوازل.. كان عدد ساكنيها يزداد يوما بعد يوم.. لكن بنيتها التحية لا تتطور أبدا..

مارس يدر والد كنزا الصيد أجيرا بأحد قوارب صيد السمك.. فتفننت كنزا في إعداد أنواع مختلفة من اطباق السمك.. حتى اشتهرت بين نساء القرية بطبخها اللذيذ..

تقدم لخطبها المزيان، ذو العشرين ربيعا.. بحار غريب.. وحيد.. وأعزب، يشتغل مع والدها في نفس القارب.. بعدما كان يستضيفه والدها عندهم بالبيت ضيفا و صديقا.. وقد تذوق و تناول عدة أطباق في عدة مناسبات من إعداد كنزا.. إذ هو الآخر مهاجر.. قدم من قرى الاطلس الكبير رفقة أسرته .

تزوج المزيان بالعروس كنزا وهي لازالت قاصر.. واقامت الأسرة عرسا متواضعا.. متضمنا كل أركان الزواج.. الاشهار ودعوة الأقارب والساكنة.. ودفع المهر وقراءة الفاتحة لا ينقصه إلا عقد زواج يوثقه عدلين .

عاشت كنزا مع زوجها المزيان بأثاث بسيط في بيت للإيجار.. في محيط قرية الصيادين.. ورغم الفقر المدقع.. و المدخول اليومي الهزيل.. انجبت كنزا خمسة أطفال.. ثلاثة ذكور و بنتين..

في ليلة هوجاء حلت عاصفة بالقرية، فهاج البحر على كل البيوت المتناثرة على الشاطئ.. و قلب اعلاها سافلها.. مفسدا أثاث ومحتويات اغلب البيوت.. و مهدما أسقف بعضها.. كما تعرضت السفن لخطر الغرق..

كان ضِمْن السفن المبحرة آنذاك للصيد.. مركب نوح الذي يشتغل على متنه زوجها المزيان و والدها يدر .

انقلب مركبهم وغرق، وابتلعت الأمواج زوجها المزيان ووالدها يدر وباقي الصيادين.. حين هدأت العاصفة و سكن البحر.. بدأ الصيادون بالبحث بين الصخور هنا وهناك عن الغرقى و بقايا المركب.. كما قاموا بالغوص في أعماق المحيط.. إلى ان عثروا على المركب وبعض الغرقى.. منهم والدها يدر و بعض الصيادين، ولم يعثروا على جثت زوجها .

خرجت كنزا من سوق الزواج خاوية الوفاض.. لا تملك عقد زواج يثبت أنها كانت متزوجة.. ولا تملك شهادة وفاة الزوج تثبت أنها أصبحت أرملة.. ولا تملك بطاقة وطنية تثبت أنها مواطنة مغربية.. ولا دفتر الحالة المدنية يؤكد أنها أم لخمسة أطفال.

في ليلة واحدة بل ثوان معدودة.. تحولت كنزا إلى يتيمة الأب.. وأرملة بلا زوج.. ومسؤولة مسؤولية كاملة عن إطعام و حماية خمسة أطفال .

رحلت مع من رحل بعد الفاجعة إلى قرية مجاورة اكثر امنا و امانا.. تعد دائرة و تتوفر على مستوصف، و مدرسة، و مركز بريد، وملحقة ادارية.

تعذر عليها تسجيل أبنائها في المدرسة حين حلّ وقت دخولهم إلى المدرسة لغياب وثائق ثبوتية.. اكتشفت لأول مرة أنه يصعب عليها ذلك، لأنها لا تملك الحالة المدنية.. ولا يمكنها استخراج عقود الازدياد.. ولم يستفد أبناؤها من أي تلقيح يعطيهم حق التسجيل في المدرسة العمومية..

ازداد إصرارها على تعليمهم.. حتى لا يتعرضوا لما تعرضت له من ضياع الحقوق بسبب الجهل الذي عانت منه أسرتها .

لما أحست ان كل الأبواب والمنافذ مغلقة في وجهها سلمتهم إلى عم لهم.. الذي استطاع بوثائقه ومعارفه أن يسجلهم باسمه، و يضيفهم إلى

نسبه.. فاصبحوا مسجلين في دفتر الحالة المدنية.. ولهم عقود الازدياد.. ومنتسبين للمدرسة العمومية..

تمكن العم من مساعدة أبناء أخيه.. وتمكن الأبناء من اثبات وجودهم في الحياة.. لكن الام كنزا خرجت من سوق الأُمومة بلا أولاد.

أبناؤها في حاجة إلى مصاريف لمتابعة دراستهم.. والعم لا قدرة له على تلك المصاريف.. فسافرت إلى قلب المدينة.. مدينة أكادير.. بحثا عن عمل.. ولأنها لم تكن تتقن حرفة، ولا تملك مهارة يدوية.. أصبحت تشتغل في البيوت .

اول بيت اشتغلت فيه.. شقة فاخرة لأسرة ميسورة.. ما يذكرها بهذا البيت أنها رأت بأحد الغرف مرآة كبيرة في دولاب ضخم..

وقفت تتأمل نفسها في المرآة لحظات طويلة.. إذ لم تقف، ولم تتزين امام المرآة منذ زمن طويل.. حتى نسيت شكلها.. وملامح وجهها.. وهي تنظر إلى شكلها في المرآة أدركت لماذا يصر الجميع على مُناداتها خالتي منانة أو خالتي نانا ؟!.... رغم أنَّ اسمها كنزا بنت منانة.. لأنها تبدو كامرأة عجوز تجاوزت الخمسين، وقد غزت التجاعيد كافة وجهها.. أما سِنُّها الحقيقي بالكاد يتجاوز ثلاثين سنة.. لأن أمها منانة قالت لها

ذات مرة أن انجابها صادف وفاة محمد الخامس.. كانت الناس حزينة ومنشغلة بوفاته، و كانت هي منشغلة بالمخاض والانجاب.. أي أنها ولدت في شهر فبراير سنة 1961 لكن لا توجد لديها أي وثيقة تثبت ذلك

انسجمتْ كنزا في سوق الشغل لكن بلا اسم حقيقي ولا هوية اثبات..

عاشت بلا بطاقة وطنية لأنها لا تملك عقد الازدياد.. عاشت أشبه بلاجئ أو مهاجر سري يبحث عن أوراق الإقامة .

لذلك كانت لازِمَتُها في كل حديث: ..

"(آه..

لو كانت عندي ورقة عقد الازدياد لكان حالي غير هذا الحال.. لكُنْت الآن سيدة محترمة لي بيت و زوج و أولاد..

آه.. يا دنيا..

حين تتوقف سعادة الإنسان على ورقة.. وثيقة.. لا قدرة له على امتلاكها، حتما سيعيش حياته في مَهَبِّ الريح بلا تاريخ ولا هوية ولا اسم رسمي معترف به ").

حب رصيده شيكات

أنعم الله على منعم بالنجاح في الدراسة و الصحة و العافية.. لكن نعمة الحظ في الوظيفة لم ينعم بها أبدا..

لما حصل على شهادتي الإجازة و الماستر بعد عناء كبير.. و آن الاوان ليستريح لم يفز بأي وظيفة.. ولا حصل على أي منصب.. وقد استنفذ طاقته في كل مباريات التوظيف بلا طائل.. وشارك في كل الوقفات الاحتجاجية أمام مقر الحكومة و مجلس البرلمان.. ليخلع عنه رداء العطالة.. فلم يفلح بل ظل عاطلا..

لا أحد يهتم بمنعم منذ وفاة والدته.. لا بمصيره أو مستقبله.. ولا بوحدته و العناية به.. حتى الحب و الاعجاب بينه و بينهما مسافات وبحورا و أنهارا.. وكأنّ الحب لا يعترف بالعاطلين.. و الاعجاب لا يحضى به المفلسون ماديا و ليس فكريا..

ظل يعيش على الهامش.. والأعوام تجري و العمر يمضي.. وقد تجاوز الثلاثين ولا زال عاطلا بلا وظيفة ولا دخل قار أو زوجة وسكن رغم كل الشهادات التي بحوزته.. فقرّر أن يخلق الحدث لنفسه بنفسه.. وأن يعيش كغيره على حساب الآخرين.. هكذا وسوست له نفسه.. فطاوعها في ذلك.

اقترض مبلغا ماليا.. ثم فتح حسابا بنكيا وانطلق كل صباح يتأنّق ويتعطّر و يخرج إلى أرقى شوارع المدينة..

بحثا عن مشروع بشري.. يصنع منه ومعه الحدث.

التقاها.. بأحد شوارع حي المعاريف.. أرقى احياء مدينة الدار البيضاء.. كانت نسرين تراه فرصة ذهبية وتستعجله بالخطبة.. وكان يراها صيدا ثمينا.. فاستعجلها بالزواج..

كل ما كان يدور بينهما مزيفا ابتداء بالحب والغزل وانتهاء بالوعود والعهود..

كل ما كان يراه منعم فيها.. كان مزيفا شعرها الأشقر.. عدسات عينيها الخضر.. ورموش اهتابها الكبيرة.. وحديثها العذب و صوتها الرخيم.. وهدوءها المبالغ فيه.

وكل ما كانت تظنه فيه.. كان مزيفا.. السيارة التي يكتريها باليوم وأحيانا بالساعة.. هندامه الأنيق الذي يتغير كل يوم.. والنظارات الشمسية الذي تتبدل بين الصباح و المساء..

أقاما عرسا فاخرا وفق التقاليد المغربية.. بعد الدّخول بها بيوم واحد يُلْقَى عليه القبض.. بِعِدَّةِ تُهَمٍ.. منها تجهيز العرس ولوازمه بشيكات بدون رصيد..

لكن ما كان يؤلمه كثيرا أنّ الدائنين لم يمهلوه حتى يُنهي شهر العسل...

ما أقسى هؤلاء الدائنون بمجرد أن علموا أنه ينعم بعروسه.. وقد خلق لنفسه نعمة حتى انقلبوا عليه.. وحولوا نعمته إلى نقمة.

حادثة جنس

تَوَرَّمَتْ رِجْلاهُ مِنْ شِدَّةِ البرد.. و الفصل شتاء.. وتَوَرَّدَتْ وَجْنَتَاهُ مِنْ ضغط الاختناق.. لقلة التجهيزات.. واستقالت المناعة من جسمه.. وتركوه عرضة للخراب.. و تخلّى الأقارب عن زيارته.. وتركوه فريسة للحيرة و الهواجس..

يقضي ولد احميدة يومه يتابع ما حوله بنظراته فقط.. وهو ممدد على سرير مستشفى عمومي بجناح (باء).. وكل الزوار يلوحون لمرضى الجناح بأيديهم من بعيد مبتسمين ثم يفرون مسرعين دون أن يدخلوا إلى الجناح أو يسلموا على مرضاه.. و كأن عدوى مرضهم ستنتقل إلى الزوار عبر الهواء أو اللمس.

ولد احميدة الحريزي سائق ماهر و زير نساء.. قضى حياته بين الشاحنات وعبر بهم المغرب طولا و عرضا.. كل الطرق المعبدة مر بها منذ اربعين سنة.. كل مداخل المدن تعرفه من طنجة إلى الكويرة.. وأحيانا حتى مدن موريتانيا عبر الكار كارات..

صال و جال مسافرا طوال اربعين سنة سائقا.. متنقلا من شاحنة إلى أخرى ومتخذا له في كل مدينة يزورها باستمرار زوجة أو عشيقة..

اليوم كل اهله يمارسون التعتيم على حياته.. وكل زوجاته يطمسن حقيقة مرضه.. ولا يقمن بواجب الزيارة و صلة الرحم.

لم يبق له بالمستشفى إلاّ ذكريات يَجْتَرُّهَا في وحدته منها شريط الحادث....

خوفا من حادثة سير في الطّريق السّيّار توقّف بباحة الاستراحة ليستريح.. وحاول أن يسرق لحظات مُتْعَة مع سائحة أجنبية.. صادفها هناك.. أعجبت بفحولته.. فانتقلت العدوى مع المتعة.. واللعنة مع النزوة..

اليوم يتمنى لو كانت وقعت له حادثة سير بدل حادثة جنس.. أنذاك كانت الاقارب ستحطم جدار الصمت الذي يُحيط به حاليا بتحليقها حوله وهو يحتضر...

لحظة القرار

مرّ أكثر من شهر.. وهو يمرّ قرب بيتها يرفع رأسه إلى نافذتها.. يراها فيبتسم و يُسلم.. دون ردّ منها.. لم ييأس.. لم يكل.. ولم يمل..

ظلّ على حاله.. حتى أصبحت تبتسم ولا ترد.. بعدها كثرت الابتسامات والإشارات كلما مرّ قرب البيت و تحت نافذتها.. آزداد عشقا وهياما.. و أصبح يلحّ عليها بالنزول.. عبر الإشارات.. طالبا منها اللقاء.. و المحادثة..

بعد مدّة.. واستجابة لإلحاحه المتكرر.. وافقت على اللقاء..

جاء في الموعد المحدد بعد أن تزيّن وتعطّر.. ولبس أحسن ما لديه.. وقف على ناصية الطريق يراقب النافذة.. أطلّت.. أعلنت بالإشارة أنّها قادمة.. ازدادت ضربات قلبه وهو يراها قادمة.. أحسّ بأنّ تعبه لم يذهب هدرا..

ابتلع ريقه من شدّة حبه.. وهو يُعَرِّفُهَا بنفسه.. وحين أبلغتْه بحركاتها أنّها لا تسمع ولا تتكلّم.. ابتلع ريقه ثانية لكن هذه المرّة من قوّة المفاجأة.

إنّ بعض الظن

كانا يتبادلان عبارات الحب والإعجاب همسا و علنا.. حتى ضاق زملاؤهما من هذه المشاهد.. و اختلطت عندهم مشاع الكره بالحسد نحوهما.. .

اعتادت أن تشم رائحة الوردة الحمراء التي يهديها إيّاها كل صباح.. وهي تشم.. رفعت رأسها.. كل الموظفين يتابعون حركاتها.. وسكناتها خلسة.. وهم يناقشون موضوعا لكن جوهره يرمز إلى موضوع آخر..

انتبهت.. انزعجت.. وحين أحست بالحرج الممزوج بالغضب.. كتبت له رسالة عبر هاتفها:

الزملاء في العمل تتحدث معهم في موضوع، وحين تغادرهم، تُصبح أنت الموضوع..

ردها عليها وهو يبتسم في رسالة عبر هاتفه:

وأحيانا تكونين أنت الموضوع، وحين يرونك يغيرون الموضوع.. .

لكن الزملاء ظنوا أنهما يتبادلان كالعادة رسائل الحب .

إعجاب.. صنع صيني

تبادلا النظرات داخل الحافلة رقم 9 التابعة للوكالة الحضرية في النقل العمومي التي عادة ما تكون مكتظة في مثل هذه الاوقات.. حيث تصادف خروج العاملات و العمال من المعامل و المصانع كل مساء .

النظرات كانا يتبادلانها تارة بالواضح و تارة المرموز.. تحمل رسائل مشفرة متبادلة بينهما.. تلتها بعد ذلك ابتسامات الرضى و القبول .

كانت حفيظة في أمس الحاجة إلى رفيق درب.. فقد تجاوزت الثلاثين بتسع سنين ولا زالت تنتظر عريسا.. في حين أن اختها الصغرى قد تزوجت وانجبت طفلين ولدا و بنتا في زواج موفق و ناجح .

تمنت ان يكون نصيبها شبيها بنصيب أختها.. بعد لحظات رأته يتعارك بذراعيه بين أمواج راكبي الحافلة رغم الاكتظاظ.. والازدحام وارتفاع درجات حرارة يونيو.. زاحفا نحوها.. وقد قطع أشواط وأشواطا.. وقَرَّبَ ما بينهما من مسافات واقترب.. حتى أصبح خلفها..

و ازداد التصاقا بها.. استحسنت حركاته.. واستساغت قتاله للوصول إليها.. ثم استلطفت لمساته.. واستمتعت بأنفاسه الدافئة خلف أذنها .

لقد كان شابا جميلا و أنيقا و وسيما.. ربما اصغر منها بسنة أو سنتين.. لا يهم.. طالما هناك اعجاب قوي قرأته في عينيه بحروف واضحة..

يحمل في يده اليمنى ملفا بنفسجيا.. خَمَّنَتْ أنه موظفا أو محاسبا بإحدى الشركات.. بعدما لاحظت ساعة يد فاخرة يستعملها في يده اليسرى..

كانت تأمل أن يكون فارسها الذي سينقدها من العمل طول النهار خارج البيت.. و يحررها من استغلال المعامل لمجهودها اليومي دون أي حقوق..

ازداد احتكاكه بها.. والتصاقه لها.. بسبب التدافع بين الركاب.. وكثر تحسسه بإحدى يديه لأماكن مختلفة من جسدها..

لم تعترض.. وفي نفس الوقت لم تتجاوب معه.. تظاهرت باللامبالاة مع قليل من الرضى وعدم التذمر من تصرفه.

حاولت أن تتماسك حتى لا تنهار.. وحتى لا يسرق قلبها المضطرب بين ضلوعها.. لكنه سرق راتبها الاسبوعي الذي كانت تخفيه في ظرف بحقيبة يدها كما تسلمته من المحاسب.. سرقه منها دون أن تشعر به .

حين اختفى اللص.. ولم يعد له وجود خلفها.. التفت يمينا و يسارا لم تره ولكن رأت حقيبة يدها مفتوحة و ظرف المرتب مختفي .

كلاهما اختفى الوسيم و المرتب.. اصفَرَّ وجهها.. وارتفعت ضربات قلبها.. وهي تستجمع شتات فكرها.. مع قلبها المصدوم وحقيبة يدها الفارغة.. و تعب الاسبوع الذي راح هدرا مثل (المال السايب).. الذي ليس له صاحب .

حفيظة تعودت استعمال الأصلي في الأجهزة المنزلية وأدوات التجميل، ولا تفضل المغشوش.. ولا يخدعها التقليد.. ولم يكن في علمها أن الاعجاب هو الآخر قد يكون مغشوشا في صناعته أو متقنا في تقليده للأصلي.. صناعة أسيوية رخيصة في تداولها و مغشوشة عند استعمالها.. مثل كل الأدوات التي انخدعت فيها سابقا .

نزلت من الحافلة وهي لا تملك زمام امرها.. شاردة.. تائهة.. بين خيبة و أفكار متضاربة.. لم تصرخ وسط الركاب معلنة عن السرقة التي تعرضت لها.. ولم تسال الركاب اين اختفى ذلك اللص الوسيم الذي سرق القلب و المال و مجهود اسبوع كامل من العمل الدؤوب في معمل لا يرحم عماله..

حفيظة لو لم تتعثر في دراستها لأكثر من سنة في أكثر من فصل.. لكانت اليوم لها مكتب مكيف وهاتف وسيارة خاصة و شقة و هيبة ومتمتعة بكافة حقوق العمل في إطار قانوني يحترم آدميتها.

سرق منها القلب و ترك لك جرحا يدمي.. سرق منها المرتب وخَلَّف وراءه حرمانا و ضياعا.. لأسبوع آخر.

التفتت خلفها ناحية الركاب بعد نزولها بصعوبة من الحافلة.. دون ان تعدل من وضع جلبابها أو ترفع منديلها الذي وقع أرضا.. حين وقع حجابها على الارض.. بدا أن لها شعر طويل اشقر فاتح اللون منسجما إلى حد بعيد مع عيونها العسلية و بشرتها السمراء.. كانت اشبه بقطعة شوكولاتة مرمية على الرصيف..

ظل بعضهم ينظر إليها فانطلقت في السب و الشتم.. كانت تلعن المعمل الذي تشتغل فيه.. و العنوسة التي تعاني منها.. و الحكومة التي تركت الحابل على النابل.. والحدود المغلوقة في وجه الجميع.. وهؤلاء الركاب الذين أصبحوا جزءا من عذابها اليومي.. كما لعنت في النهاية كل من يعشق وجها جميلا.. و ينخدع فيه .

لم يفهم الركاب لما هذه الثورة في وجههم والسب في حقهم، وقبل لن يسألها أحدهم انطلقت الحافلة بهدوء وبطء شديدين .

حِكايَةُ سِرٍّ

سَمِعَ آهاتٍ و تأوُّهاتٍ وهو يَهُمّ بِفَتْح باب بيتهم بالمِفتاح.. ارتفعت دقـاتُ قلبِـه و تصـارعتْ.. سَـحَب نَفْسَـه داخـل البيْـتِ و بارتبـاك واضطراب وضع كُل ما اشترتاه مِنَ السّوق جانبا.. وانطلق يتسَلَّلُ بِهُدوء مُقْتَفِيًا أثرَ الصَّوْت.. القادم من غرفة والدته الأرملة..

مِنْ شُقوق بابِ الغُرْفة رأى بِعَيْنَيْهِ ما لا يُرى.. و سَمِع ما لا يُسْمع.. وبِنَفْسِ الهُدوء يَنْسَحِب، و الدَّم يغْلي في العُروق، و الفِكْر مَشْغول، والعَقل مَشْلول.. و الظلام يُحيط بعَيْنَيْهِ مِنْ كل جانبٍ.. حتى ما عاد يرى غيْر الضَّباب..

خَرَج إلى الشارِع.. أحسّ مُتَوَهِّما أنّ كُلَّ الناس تَنْظُرُ إليه.. وكل الأَصابع تُشير اليه.. وأنّ الدنيا ضاقت به ثم ضاقت حتى أصبحَتْ أصْغر مِنْ ثُقْبِ إِبْرَة.. ولم يَعُدْ له فيها مكانٌ.. مُرَدِّداً أنّ الجَنّة لم تَعُدْ تحْت أقْدام الأمَّهات.. و مُقْتَنِعا أنّ الجحيم جزاء و مَصيرمَنْ يَثِقْ في

الصـديق.. ويدخلـه إلى منزلـه.. ويعرفـه بوالدتـه.. فيسـتغفلانه معـا.. ويدخلان في علاقة.

عِنْـدَ بائِـع العقـاقير.. آشـترى المـوْتَ بـدُرَيْهِمات.. و آبتلَعَـهُ في لحظات.. خَوْفا أنْ تَبوحَ عيناه بالسّر الذي رآه.. أو يَنْطِق اللسان بِغير هـواه.. وفَضّـل أنْ يبْقـى السِـرُّ في صَـدْرِه مَسْـجونا و جَسَـده في القَـبْرِ مدفونا.. على أن يعيش أضْحوكة تُشير إليه الأصابع.. أو مُجرما سجينا مدى الحياة.. لكِنْ لم يكنْ يعلم أنّ للجُدْران آذانا لا تَكْتُم الأسْرار.. إذْ سَرّبتْهُ و قَذَفَتْهُ في الهواء فآنطلق مُسْرعا و مُنْتشرا كالطاعون.. بلْ سَبِقَهُ سِرُّهُ ولم يُرافِقْهُ.. وكان ضِمْن مُسْتقبليه في المقبرة ثم عاد مع المُعَزّين إلى المدينة..

وبَعْد العَزاء و العشاء وبعْد الفاتِحة و الدعاء ينْفضّ الجَمْعُ على أملِ اللقاء في وَليمةٍ اخرى.. زواج أو عَقيقة أو عَزاء..

وَتَسْتَمِرُّالحياة.. كأنّ شيئا لمْ يَكُنْ.. سِوى ذِكْريات مُبَعْثرة هنا وهناك بيْن أطراف المدينة و على جَنَبات الأسواق. تحكي عَنْ سِرٍّ.. صاحِبهُ مات وهو لازال يَطوف في الطُّرُقات.

دفء وحنان

أمسك بيدها و هما يعبران الطريق.. رغم كبر سنه.. وضعف بدنه ونحافة جسده.. وقد تجاوز السبعين من العمر .

أحست بدفء يده و بحنان قلبه.. حين مسك يدها برفق.. وهما يعبران الطريق.. طريق الشارع الرئيسي.. المزدحم بمرور السيارات .

فقالت له مازحة:

شاخ فيك كل شيء يا الحاج ادريس إلاّ إنسانيتك.. .

رد عليها مبتسما:

وأنت يا الحاجة آمنة.. راح منك الشباب و القوام.. و بقيت فيك حلاوة اللسان..

ضحكا معا.. وواصلا الطريق.. بخطوات بطيئة لكن راسخة في عمق العلاقة التي بينهما.. عجوزان ثالثهم الحب.. إذ لم ينجبا أطفالا فكان

الحب ابنهما الوحيد.. شيخان ولا مكان للشيخوخة في حياتهما.. حيث تغلبا في مسيرتهما على مرض الخمسين.. و عجز الستين.. ويأس السبعين.. ولا زالا يواصلان المشوار بنفس العزيمة.

لقد اعتاد الحاج إدريس و الحاجة آمنة مساء كل يوم قبيل آذان العصر.. الخروج من بيتهما متجهين إلى المسجد لأداء صلاة العصر..

وبعدها يتجولان بشوارع مدينتهما الصغرى مرورا بأطراف أحيائها.. إلى حين سماع آذان صلاة المغرب.. فيدخلان إلى أقرب مسجد يصادفانه في طريقهما.. في الأغلب حسب مسار جولتهما.. يصادفان مسجدهما المفضل.. مسجد السُّنَّة .

بعد أداء صلاة المغرب.. يعودان إلى منزلهما.. و الحديث بينهما لا ينقطع.. كل رواد المقاهي، و جلساء الحدائق، و أرباب المتاجر، و تجار الدكاكين يعرفون توقيت جولتهما المسائية بالمدينة.

حين يعيش الإنسان مرحلة سنه بإحساس.. يستمتع بها أكثر.. حتى لسانه لا يعبر إلا عن حلاوة تلك المرحلة في كل وقت و حين.. لأن لكل مرحلة من السن حلاوتها..

ورغم أنهما لا ينتظران أي نهاية سعيدة.. فنهايتهما معلومة.. والموت يتربص بهما في أي لحظة، ومع ذلك يعيشان في منتهى السعادة.

اللحظات الحرجة

رافقت نادية الممرضة الطبيب عماد في زيارة لأسرة الحاج الزاوي في مقر سكناهم الفاخر.. وهي عبارة عن فيلا مبنية على الطراز العصري.

استقدم الطبيب معه الممرضة لتقوم بالرعاية الطبية الملازمة لزوجة الحاج العاجزة عن الحركة كليا..

ظلت الممرضة نادية ترعى زوجة الحاج طبيا على مدار الساعة، وتعتني بالحاج نفسيا كما أصبحت تهتم مع الوقت بهندامه وبكل حاجاته..

بعد سنة وبضعة شهور تموت الزوجة.. ويخلو الجو للممرضة وتتوسع صلاحياتها داخل ذلك المسكن الفاخر..

كانت نادية قمة العطاء والرقة و السخاء العاطفي في تعاملها مع الحاج.. حتى اصبح لا يستطيع الاستغناء عنها.. ولا يطيق الابتعاد عن محيطها.. وقد بلغ من العمر ثلاثة و سبعين خريفا.. في أمس الحاجة إلى

الرعاية و الاهتمام.. فلم يكن أمامه للحفاظ على العناية الطبية الدائمة إلا بالزواج من نادية .

بدا الحاج الزاوي سعيدا بليلة الدخلة.. بعدما أصبحت لديه حمامة.. بل يمامة.. كان يراها اغلى من كل ممتلكاته.. فتخلى عن عكازه التي كان يتكل عليه.. واعتدل في وقفته.. مستعينا بالفواكه الجافة.. واعشاب العطار.. و مقويات الصيدلية.. فصبغ شعر رأسه، وحلق شاربه.. وقد احتوى بيته عصفورا مغردا بصوته العذب..

كانت العروس نادية ذات الواحد والعشرين ربيعا من عمرها أسعد منه.. اعتقادا منها أنها أصبحت بزواجها هذا تملك الدنيا بما فيها من مال.. وجاه.. و ثراء.. و عقارات.. وستصبح سيدة الفيلا.. الآمرة الناهية فيها.. بعدما كانت مجرد راعية و خادمة للمرضى ببيوتهم..

لما حل الليل.. و أرخى رداءه على سماء الفيلا و على كل المدينة.. حصل مالم يكن متوقعا حيث خارت قواه في تلك الليلة..

ظل الحاج يحارب الطواحين لساعات.. والعروس جامدة في مكانها.. حائرة في أمرها.. تارة تتوقع المستحيل.. وتارة أخرى تقدم له الاسعافات.. ليتجاوز المحنة .

يقلبها ذات اليمين و ذات الشمال.. على أمل عودة فحولته.. لكن هيهات أن يصلح العطار ما أفسده الدهر.. أو يحل المال ما خربته الأعوام..

أزهار حديقة نادية تحتاج إلى سقي دائم ومستمر.. آبار الحاج الزاوي بدأت تجف.. والماء القليل فيها تغلب عليه الملوحة.. ما عاد يصلح للسقي ولا للشرب..

لكن الحاج لا يريد أن يستوعب هذه الحقيقة المرة.. أن العطار بكل خبرته و أعشابه وأدويته لن يستطيع أن يصلح ما أفسده الدهر.. وأن يرفع من قوة الحاج إلى مئتين وعشرين فولت حتى يتلاءم مع فولت زوجته الممرضة نادية..

وأمام عجزه أصبحت نادية تستعين بحبوب زرقاء وبنفسجية.. تضعها له مع الحساء اوفي شربة المساء.. حتى يجود عليها بجسده وماله.. وهو في غاية السعادة.. المال يتدفق منه إليها.. والمتعة تنتقل منها إليه.

متناسيا بثرائه أن للسن حكمه المتحكم في دواليب الحاضر.. وأن القوة المصطنعة مآلها الزوال.. و بالتالي لن يسمح له السن إلا باليسير.. و لن تسعفه الحبة الزرقاء في أن يسرق من الماضي صحة الشباب ولا

فحولته.. لكنه ستساعده في أن يسرق اللحظات و يستمتع بها.. ويحولها إلى ذكريات.. ذكريات الفحولة بلا شباب.

ظلت الأمراض تتكالب على الحاج.. وظلت نادية تحجبه عن الناس والمقربين منه.. إلى أن استحوذت على أغلب ثروته.. ثم اختارت زميلا لها سابقا في الدراسة.. عاطلا عن العمل.. سائقا لديها.. يسوقها ويسوق بها السيارة.. رباعية الدفع التي اهداها إياها الحاج يوم الزفاف.

سمعت وهي بملابس النوم مثيرة.. شفافة.. وذات لون أحمر طرقات عنيفة بباب غرفة الفندق.. تقدمت بحذر فسمعت صوتا جهوريا دون ان تسأل.. (البوليس حلي الباب).. نظرت خلفها حيث السائق العاشق ممددا على السرير شبه نائم.. صفعت خديها وضربت فخديها.. لم تسعفها هذه المرة برودة الأعصاب ولا سرعة البديهة.. سترت جسدها ثم فتحت الباب .

لم تكن تعلم ان سفيان ابن الحاج منذ مدة وهو يراقب حركاتها ويسجل تحركاتها عبر عدة أشخاص في انتظار لحظة الصفر.. لحظة الابلاغ.. لحظة الهجوم.. في لحظات تهدم كل ما بنته نادية في سنوات.

الرحيل

جاء يحمل في جعبته الف عذر و عذر ليبرر بهم.. اضطراره للرحيل.. عنها وعن المدينة و عن البلد.. متمنيا لها فارس أحلام أفضل منه وأشجع..

قالت له بعدما صحت من صدمتها:

برحيلك لن تتوقف الحياة.. ستظل الشمس تشرق كعادتها.. و الليل يأتي في وقته..

برحيلك لن تموت المشاعر.. سيظل القلب ينبض.. و الدم يسري في الشرايين..

برحيلك لن يتغير شيئا حولنا.. لكن حتما سيتغير ما بداخلنا.. فأحذر أن تعود بعد فوات الآوان..

صفعها بالصمت.. و رحل.. ورحلت معه كل الأشياء الجميلة..

.....

وحين عاد بعد ثلاثين سنة.. من ارض الغربة.. خاوي الوفاض.. كان الشيب قد غزا الشَّعْرَ والشِّعْرَ.. و المَشَاعِرَ..

أكلت السنين الشباب والنظارة لكليهما.. وتآكلت معها الذكريات..

التقاها وقد أصبحت أما بل جدة تجر خلفها حفيدين.. ولا زال هو منفردا أعزب.. يجر خلفه الحسرة و خيبة الأمل .

المتهم الوحيد

كان يعشقها.. ولا يسمح لأحد من زملائهما بالاقتراب منها.. داخل أجنحة المؤسسة التي يشتغلان بها.. ولا حَتَّى السلام عليها.. أو النظر اليها .

كانتْ هي مَزْهُوَّةً بِغِيرَتِهِ.. وكان هو متماديا في غيرته لكن امتداد الحصارِ حَوْلها.. مع مرور الأيام.. جعلها تتضايق.. تختنق.. و تتذمّر.. فقد حَوَّل مَمْلكتَها إلى سِجْن.. وتَحَوَّل هو مِنْ فارس إلى سجّانٍ.. ومن عاشق إلى وَحْش غَيور و مِشْكاك..

بقدر ما كانت جميلة كانت سيئة في ذوقها.. وساذجة في اختياراتها.. وسطحية في نظرتها للأمور.

لم يكن يلائمها أو يتلاءم معها.. فهي جميلة الشكل.. مرهفة الحس.. تتذوق كلمات الأغاني الراقية و تحفظها عن ظهر قلب.. أما هو فلا نصيب له لا في الجمال ولا في الذوق.. نحيل الجسم.. اصفر

اللون لشحوبه الدائم.. جاحظ العينين ويزدادان جحوظا كلما انفعل أو غضب.. يقوم أحيانا بحركات أو تصرفات يعكس عدم توازن نفسيته..

كثيرا ما كان يتساءل الزوار و العملاء المترددون على المؤسسة باستمرار لأغراضهم الشخصية.. كيف تضع وزارة ثقتها في هذا الموظف و تهبه مسؤولية رئاسة مصلحة..

ويزدادون حيرة كلما رأوا تصرفاته معها داخل المصلحة أمام العملاء والزوار.. و تعامله إزاءها في فضاء المؤسسة تحت أعين زملائها الموظفين..

ألفاظ و حركات و تصرفات لا تليق إطلاقا بزوج تقي.. ولا بموظف مسؤول.. ولا بأب فاضل..

في غَفْلة مِنْهُ بعد طول الحِصار بَنَتْ سرا عبر وسائل التواصل الاجتماعي جسرا مع الآخرين.. حفرت بأسنانها و أظافرها في الفيس بوك.. قادها خندقها إلى خندق آخر في اليوتيوب و الانستغرام.. إلى أن انتقلت إلى خندق التيك توك.. *و تحررت من سلطة زوجها.. وسطوة وظيفتها.. وقيود المجتمع الذكوري..*

كان يغلق عليها الأبواب بالمفاتيح حتى لا يراه أحد غيره.. في حين كان يراه العالم بملابس البيت ومن غرف المنزل.. وهي ترقص وتغني.

حين اكتشف أمْرَها بالصدفة.. عن طريق فاعل خير.. ورأى جوهرته مكشوفة للعلن.. صوت وصورة.. في اوضاع و اشكال وملابس مختلفة أصيب بحالة هستيرية.. ودخل في نَوْبَة غضب.. رَدَمَ عليها الخنادِق.. إذ لم يصح من نوبته ولم يخرج من حالته إلا بعد أن وجه لها بسكين المطبخ عدة طعنات في كل أنحاء جسمها.. جعلها تفارق الحياة على الفور .

هي أساءت الاختيار في الاول والتقدير في الأخير لحداثة سنها.. إذ لم تتجاوز العشرين من عمرها.. فدفعت حياتها ثمنا لذلك.. اما هو الذي تعدى الأربعين من العمر وله *تجربة سابقة في الزواج... فكان* يُخْفِي اضطراباته النَّفْسِيَةَ تحت غِطاء الغيرة الحُب..

وأصبح الحُب المُتهم الوحيد في النازلة..

التسول في الحب

تعود أن يستقبل كل سنة عيد الحب بعيون حزينة، و قلب منكسر.. وجيوب فارغة، و ليس بين يديه وردة.. ولا قدرة له على شرائها .

لكن هذه السنة سيستقبله بوظيفة، و تفاؤل، وجيوب مملوءة .

ولأنه أصبح موظفا و مقتدرا.. اشترى وردة كبقية الشباب.. ثم تذكر بأنّ ليس له حبيبة ولا خليلة ولا صديقة ولا حتى زميلة في العمل..

كان وحيد ابويه.. وفوق هذا يتيم الأب.. ومن أسرة كثيرة العدد قليلة المدخول.

لأول مرة يودع عيد الحب بحسرة بعدما انقضى النهار وغربت شمسه.. رغم أنه في استقباله كان متفائلا منشرحا.. وكله امل ان يحظى بفرصة، ولم يكن يعلم أنّه بتصرفه هذا.. سقط من العيون التي يشحت فيها عن الحب.. حتى الفتات لم يفز به..

آه.. لـو كـان يعلـم انّ الحـب للأثـرياء، والفُتـات للفقـراء واليتـامى والمُعوزين.. ما اشترى وردة ولا نزل إلى الشوارع معرضا نفسه في سوق الحب.. بدون حظ ولا قدرة على المنافسة.

حتما سيقف طوال السنة في طابور المحرومين منتظرا نصيبه...

تلاسنات بالشخير

استيقظ على غَيْرِ عادته عند مُنْتَصَفِ الليل على شخير زوجَتِه.. تقلب في فراشه على جانبه الأيمن ثم على جانبه الأيسر دون جدوى.. ظل الشخير يزعجه..

وحيت تعب من المحاولات الفاشلة.. جلس يتأملُ زوجته، وهي في سُباتٍ عَميقٍ.. ثم تساءل مع نفسه مَنْ يُصَدق أنّ هذه المخلوقة.. هي تلك الفتاة ذات الحُسْن و الجمال و القِوام المَمْشوق قبل بضع سنوات.. تتحول إلى كتلة ضخمة من اللحم.. بالنهار لا تسمع إلا الصراخ المتبوع بطلبات البيت.. و بالليل تتحفك بنغمات من شخيرها..

ردد مع نفسه متحسرا:

" آه.. لو عاد الزمان بي إلى الوراء *واعطتني* الحياة فرصة أخرى للاختيار هل كنت سأختارها هي بالذات ؟!.. "

ابتسم ابتسامة الندم دليلا على مدى غبائه .

توقفت عن الشخير للحظات.. ثم اعادت الكرة بصوت أقوى وبجهد أكبر.. فتأكد انه لن يتمكن من النوم في هدوء هذه الليلة بعدما تناولت في العشاء وجبة (الرفيسة) صحبة جاراتها المدعوات لوليمة (للكديدة) عند صديقتهن سهام الطامحة في الإنجاب بعد عقم دام لعدة سنوات.

وهوفي قمّة غضبه، انتبه إلى صوت شخير قادم من الشقة المجاورة.. شقة جارتهم السعدية.. وكأنها تدردش وتنمنم وهي تتجاوب مع شخير زوجته.. شخير بشخير.

نفذ صبره.. فأطل من نافذة غرفة نومه صارخا:

" اللعنة على السكن الاقتصادي.. اللعنة على الزواج.. اللعنة على الذين تزوجوا قبلنا، ولم ينصحونا.. اللعنة على الذين تزوجوا بعدنا ولم يستشيرونا.. اللعنة على الزمان الذي يغير الأحوال، ولا يتغير.. اللعنة عليكم جميعا.. جميعا.. جميعا.. يا سكان السكن الاقتصادي."

لقد كان متضايقا أصلا من شقته التي اخرجته من فضاء الحرية إلى قيود القروض ومدى طول المديونية.. حيث اشترى شقته بخمسة

وعشرين مليون سنتيم.. ودفع ثلاثة ملايين سرا تحت المائدة وتعرف ب(النوار).. لم تسجل في العقد.. وتقتطع له البنك مقابل القرض (28 ألف ريال) لمدة 28 عام.

وكلما قام بعملية حسابية لمعرفة الثمن الإجمالي ركبه الجنون وركب العراك مع أي كان يصادف في طريقه.

ظل يصرخ في تلك الليلة بأعلى صوته.. واستمر الصراخ في تصاعد متتابع.. حتى استيقظ كل ساكني العمارة..

حين استيقظ سكان العمارة جميعا.. بعضهم مستفسرا.. وبعضهم متسائلا.. أحَسَّ بالارتياح.. وضع رأسه على الوِسادة.. وقرَّر محاولة استدراج النوم.. ثم نام.

وظلت زوجته تنظر إليه باستغراب.. معتقدة انه أصيب بحالة من الجنون.

مكسورة الجناح... حادة

أخرجت حادة البقرة من زَرِيبَتِها للبيع.. وخرج آبْنُها دحمان مِن حُضْنِها للهجرة.. لم يعد كلاهما يعيش تحت سقف بيتها.. كانا لها جناحَيْن تحلق بهما في سماء دنياها.. فقُصا.. ما عادت لها بعد اليوم قدرة على الطيران..

ظل دحمان يُلحّ على والدته حادة و يَضْغط بكل الوسائل المتاحة له.. كي تبيعَ البقرة.. ليُهاجِرَ بثمنها إلى اوروبا.. عبر قوارب الهجرة غير الشرعية.. وفي كل مرّة تُهادِنُه.. تساومه.. وتُراوِغُه.. مبررة له ذلك تارة أنّ البقرة مَصْدَرُ رِزْقِها.. و تارة اخرى ان الجفاف استنفذ كل مدخراتها.

والدته حادة المشهورة في القرية ب (مّي حادة القابلة) فهي المولدة الوحيدة بالقرية و القرى المجاورة ايام كانت النساء تنجب عشرة وأكثر.. اما الآن فقد اصاب مهنتها البوار و الكساد.. إذ ما عادت بنات اليوم من نساء القرية ينجبن من الأطفال إلا اثنين أو ثلاثة فقط.. وعلى فترات متباعدة..

الأرملة حادة لم تتزوج بعد وفاة زوجها ووالد ابنها الوحيد.. رغم أنها كانت في ريعان شبابها.. ومورست عليها ضغوطات من طرف والديها والاسرة للزواج مرة ثانية.. لكن بسبب التعنيف اللفظي و المادي والإهمال الذي تعرضت لهم حادة من طرف المرحوم زوجها أيام حياته جعلها تعاف الزواج و العرسان وما يأتي للأنثى من السرير..

كما كانت تخاف على ابنها، وعلى نفسيته، وعلى كرامته إن هي تزوجت.. لذلك امتنعت و تمنعت.. وظلت تمتنع إلى ان يئس أهلها من زواجها وانصرفوا عنها.. فعاشت لابنها مكرسة كل حياتها لتربيته..

دحمان وجد نفسه وحيدا و مدللا من طرف والدته.. فلم يفلح في دراسته.. ولم يتسلح بأي حرفة في صباه.. ولم يتعلم أي صنعة في مساره.. فعاش عالة على والدته..

ظل يقضي يومه يتسكع بين طرقات القرية و حقولها و مقاهيها.. وطلباته مجابة.. وحاجاته مقضية من قبل والدته.. إلى ان ترسخت في ذاكرته فكرة الهجرة إلى اوروبا.. وازداد طلبه و الحاحه على مبالغ مالية لحجز مقعد له في قوارب الهجرة السرية مع رفاق دواره .

لما اشتد عليها الخناق.. باعت مي حادة البقرة والنعجتين بحمليهما، و أضافت إلى ثمنهم مبلغا ماليا اقترضته من اقاربها.. إذ لم يكن في بيتها أثاث يصلح للبيع ولا حلي لها ولا ذهب .

بعد رَحيلِهِ.. خلا البيت منه.. كما خلا ما بداخل نفسها من دفء ومؤانسة.. أصبحتْ مسكونةً بالهاتف يلازمها حَيْثُما حَلَّتْ.. لعله يَرِنُّ وينقل إليها أخبار ابنها الوحيد دحمان..

انغمست في العمل ليل نهار.. لعلها تنسى خيبتها.. وتتغلب على وَحْدتها..

اشتغلت في نسيج الجلابيب بالورشات.. وعملت بجني الطماطم في الحقول.. و مارست مهنة مولدة كلما دعيت لذلك.. و اضطرت أحيانا أن تكون خادمة في البيوت.. إلى أن اشترت البقرة بعد ثلاث سنوات من العمل المضنى..

تغير خلال ذلك صوتها من الوحدة.. قل بصرها من الهم والحزن على وحيدها.. فقدت شهيتها للأكل من الحسرة.. مكتفية بالفتات.. كي تدخر المال وتقاوم في نفس الوقت التعب و المرض و الشيخوخة..

حتى تضاءل جسدها و انكمش على تجاعيده.. مع انحناءة دائمة أثناء الوقوف و المشي..

اليوم عادت البقرة إلى زريبتها.. وعاد بعدها الخروف والنعاج والكتاكيت.. وامتلأت زريبتها، لكن وَحِيدَها إلى حُضْنِها لم يَعُدْ .. وهاتفها لم يَرِنْ.. وبالها عنه لم يطمئن.. وأخباره إلى حد الآن ليس لها أي أثر..

وكلما التقاها أحد معارفها أو جالسها إلا و حدثته عن ابنها دحمان.. عن انتظاراتها له.. عن شوقها إليه.. عن لهفتها عليه.. معبرة عن خوفها أن تموت قبل تراه..

تارة تضحك وهي تحكي عن ذكرياتها معه.. وتارة تبكي وهي تحكي عن غيابه الطويل.. وتعد ذلك بالسنوات، والشهور والأيام والساعات..

وبين الضحك والبكاء حكي كله حسرة ومرارة.

حب منتهي الصلاحية

عاد محسن إلى حبيبته نرجس.. عاد إليها بعد مغامرات عاطفية خاطفة.. ونزوات عابرة هنا و هناك.. تارة مع رفيقاتها في الحي مغامرا.. وتارة أخرى مع زميلاتها في الدراسة متحرشا.. كان يعتبر أن النزوات شأن شخصي رجولي، لا علاقة لها بالخيانة.

عاد بعد اسبوع إلى أسوار قلعته.. واثقا من نفسه.. مُعْتَزّا بِوَسامته..

بدا لها مُسْرِفا في زينَتِه و هِنْدامِه.. وهو يَعْتَرِضُ طَريقها مُنْتَشِيا.. مُبْتَسِما، ثم قال لها:

أما آن الآوان لهذا الخصام أن ينتهي ؟!.. وقد تجاوز اسبوعا بلياليه؟!..

ثم واصل تساؤله مقتربا منها.. هامسا لها:

متى تعود المياه بيننا إلى مجاريها ؟!..

ثم اهداها وردة حمراء.. كان يخفيها خلف ظهره.. وهو يبتسم، وكله ثقة أنه سينجح ككل مرة.. يعود إليها .

أجابته وهي تتسلم منه الوردة بوجه عابس.. و كرامة مجروحة:

" حتى وإِنْ عادت تلك المياه لن تكون أبدا صالحة للشرب.. ولا للوُضوء.. ولا للاستحمام.. لأنها اصبحت مياه آسنة ."

قاطعها مذكرا:

" انا محسن حبيبك !.. "

بنفس الاصرار واصلت حديثها له:

" انتبه لما اقول.. و اللهِ لو أصبحت هواء.. افضل الموت خنقا على استنشاقك.. ابدا لن استنشقك شهيقا ولا زفيرا..

عُدْ مِنْ حَيْثُ أتيت.. لم تترك لجريان الماء فجا ولا فجوة يمر منه.. فاجتمع ذلك الماء الملوث بالنزوات.. حتى فاض عن كل ما حوله.. "

حاول أن يكرر لكن باستعمال صباغة جديدة أكثر بريقا ولمعانا قائلا لها:

" انت هوائي و نسمتي ولا غنى لي عنك.. "

قبل ان يتمم عملية الصباغة بإتقان كعادته صاحت فيه:

" لم تترك في الهواء نسمة.. لقد تلوث جوك بخياناتك المتكررة.. حتى طغى عليه ثاني أكسيد الكربون.. بأفعالك دفعتني خارج حياتك.. وأصبحت لحياتي كيانا مستقلا عنك.. "

ردّ عليها بأساليب ملتوية.. تعود استعمالها عند الضرورة:

"الحياة بدون رضاك لن تنتهي ولا من أجلك ستتوقف.. لكن الحب سيظل سيد الموقف.. الحاكم الناهي فينا.. والحياة بدون حبنا لا طعم لها ولا مزاج.. "

بهدوء الانثى المجروحة قاطعته:

" لكن الحب أحيانا قد يستقيل من منصبه.. أو يقيل من يراهم غير اهل للثقة.. وقد فعلها، وجعلك خارج التغطية.

مِنْ شِدّة غضبِه.. بدا الدُّخَّانُ في عينيه يتصاعد.. لقد احترقت أعصابه، وذهبت زينته.

تركها وانسحب.. يجر أذيال خيبة غروره.. في انتظار فرصة أخرى يعيد فيها الكَرَّة.

شبح الحب..

مقر العمل الذي يشتغلان فيه قَرَّبَ بينهما المسافة.. وأوقات العمل الطويلة التي يقضيانها معا في مكتب واحد من الثامنة صباحا إلى ما بعد الثالثة ظهرا خلقت بينهما انسجاما كبيرا.. فكسَّر الانسجام كلّ الحواجز بينهما.. وجعل الالفة و المودة خيطا يربط بين اسرارهما إلى أن حل الحب بينهما متطفلا.. مقتحما حياتهما.. فاستقبلاه برضى وحفاوة.. لكن زائرا في الاحشاء ناتج عن علاقة بل علاقات تمت في اماكن مختلفة داخل المدينة و خارجها.. أربك كل حساباتهما.. وأفسد الأجواء بينهما..

مراد في عقده الرابع.. متزوج وأب لثلاثة أطفال.. ونسرين فتاة جامعية لم يسبق لها الزواج.. لها نصيبها من الجمال و حظها من الاناقة.. وكاريزما جذابة إلى حد بعيد.. رفضت كثيرا من العرسان الشباب الذين تقدموا طمعا فقط في مرتبها وسيارتها وشقتها ومركزها..

مراد و نسرين جمعهما مكتب واحد لأكثر من خمس سنوات.. ودخلا في علاقة حميمية منذ سنة و نصف تقريبا.. ظلت سرا بينهما.. كلها عشق و حب و هيام لكن في الظلام.

فحين يعيش الحب في الظلام.. و يتعود عليه.. لن يستطيع أبدا أن يرى النّور.. كان حُبُّهما يُعاني من الاكتئاب و يفكر في الانتحار..

واهم من يعتقد أن الحب لا ينتحر ولا يموت ككل الأحياء.. الحب كائن يحتاج كغيره من الكائنات إلى الشمس و النور و الهواء وإلى الوفاء والاخلاص حتى يستطيع العيش في سعادة و استقرار .

استعانت نسرين للإجهاض بالفقهاء.. واستعملت الأعشاب بمشورة من العشَّابين (بائعي الاعشاب).. واختبرت عقاقير الصيدليات.. لكن الزائر رفض التنازل عن حقه في الحياة.. ليترك الحسابات تعود كما كانت من قبل.. و الأجواء تتكدر بينهما من جديد .

أحسّت بالفضيحة تقترب.. والبطن ينتفخ.. لبست الملابس الفضفاضة.. أغلقت النوافذ و الأبواب.. قللت من العلاقات والزيارات.. لكن حين تحل العاصفة.. تقتلع كل العلاقات.. وتسقط كل الصور الجميلة.

آه.. ثم آه.. لو كانت تعلم أنّ هذه خاتمتها.. ما استطعمت أوّل لقاء حب بينهما..

آمنت بالحب سرا بعيدا عن الأضواء الكاشفة.. ولم تفكر في العاقبة إلا بعد أن تركت مولودها على قارعة الطريق... قرب مقر جمعية تهتم بالأطفال المتخلي عنهم..

كانت نسرين قد خططت الا تكون أما عازبة.. و لن تحتفظ بالطفل.. و لن تكون علكة في أفواه معارفها و العابرين في حياتها..

كانت نسرين قد قررت وهي في قمة ازمتها و مخاضها أن ترمم بكارتها طبيا.. ببكارة صينية أو أوروبية لا يهم.. وان تطوي صفحة ماضيها.. وان تقبل بأول عريس يتقدم لها كيف ما كان مركزه وراتبه ووضعه الاجتماعي..

لكن لسوء الصدف تقدم لها طبيب جرَّاح. تخصص جراحة العظام.. ولم يعلم أن زميلا له في المهنة من ساعدها على الخداع والتلاعب به..

وانطلقت الحياة بينهما.. تزوجا وعاشا في ثبات و نبات وانجبا طفلين.. سليم تخرج طبيب نساء وتوليد.. هبة تخرجت طبيبة أسنان..

لكن لا أحد يعلم بوجود ومصير تلك الطفلة التي أنجبتها والدتهما نسرين ذات يوم.. والقتها على قارعة الطريق.

شظايا الحب

دخلا إلى السياسة كِلاهما من زاوية.. نفيسة رئيسة خلفا لوالدها بتراب جماعتها.. و بذلك ترث منصب والدها..

ومروان رئيس لجماعته المحاذية ترابيا لجماعة نفيسة.

مروان فشل في الدراسة.. فدفعه والده إلى السياسة.. اعتبره مشروعا.. و استثمر فيه كل أمواله.. زوجه بابنة صديقه ممثل المدينة بقبة البرلمان.. وأحد اعيان المنطقة..

بعد ذلك رشحه للانتخابات. وقام له بحملة كلها ولائم وعزائم وحفلات.. و نظم له دعاية كلها وعود للساكنة.. حتى حقق فوزا ساحقا على منافسيه.. بعدما اشترى المُنْتَخَبِين و المُنْتَخِبِين.. وهكذا فاز بسهولة وأصبح رئيسا الجماعة .

نفيسة لم تحصل بعد على شهادة البكالوريا.. ترشحت ضمن لائحة والدها الذي عمر طويلا في رئاسة الجماعة.. لكن في هذه المرة بمجرد ما فاز بالرئاسة تنازل عنها لنائبته في مجلس الجماعة.. وهي ابنته نفيسة.

كانا كلما التقى مروان بنفيسة.. أبديا الإعجاب ببعضهما.. وقد التقيا أكثر من مرة في أكثر من مكان.. في لقاءات بمقر العمالة.. وفي اجتماعات برحاب الوزارة.. وفي كل لقاء يزداد الاعجاب ببعضهما.. إلى ان صارحها بالحب ذات مرة.. وعبرت له هي الاخرى عن مكنون قلبها.. فانسجما.. و اندمجا.. وعاشا كما يحلو لهما.. رغم الارتباطات و الالتزامات لكل منهما..

حاولا الجمع ما بين الحب و السياسة.. وكل منهما يجر خلفه رئاسة جماعة.. وتحت ابطه ميزانية تعد بالملايين.. وتحت امرته سيارة رباعية الدفع بأذونات بنزينها.. وبحوزته قلم ذهبي بتوقيع منه على أي صفقة مشبوهة تخلف له الملايين في حسابه البنكي.. وسنهما معا لم يتجاوز العشرين ربيعا.

من شِدَّةِ حُبِّهِما لبعضهما.. توأما في اجتماع مشترك بين الجماعتين..

لقد جمعا بين قلبين.. و رغبتين.. ومصلحتين.. مَتَحَدين بذلك قانون اللعبة..

لعبا معا.. ونسيا نفسيهما.. ولم يشعرا إلاّ و زوجة مروان في لباس الحكم تُصَفِّر عليهما رفقة رجال الدرك.. وهما في حالة شرود بأحد البيوت المشبوهة..

أدرك وهو خلف القضبان.. أنّ مَنْ يتحدى قانون اللَّعِبِ.. داخل الملعب.. لا بد أن يتحول إلى فرجة.. أضحوكة.. مهرج.. بهلوان.. حسب رؤية كل واحد.. استوعب الدرس.. وانحنى للعاصفة.. لأن خلف زوجته عائلة لها سطوة و نفوذ.

وبعد مفاوضات عسيرة.. تنازل الحكم عفوا تنازلت الزوجة لرئيس الجماعة عن تهمة الخيانة الزوجية.. مقابل شروطها.. كما تمكن المحامون ابعاد شبهة الفساد عن رئيسة الجماعة .

حُفِضَ الملف لغياب الشبهة و الادلة تحت عنوان إذا كانت السياسة لسانا و بهتانا، فإنّ الزواج وفاء و التزام..

وعد مسموم

مَضَتْ ثلاثةُ أيامٍ، و صِغارُها ينتظرون كبْشَ عِيد الأضحى، مهداة من طَرَفِ أحد المُحْسِنين.. الذي وعد والدتهم الأرملة بإحضاره إلى مقر سكناها .

كُلَّما عاد الأبناء من المدرسة.. نظروا حولهم في البيت.. ثم سألوا والدتهم عَنِ الكبش، وفي كل مرة تَخْلُقُ لَهُمُ الأعْذارَ.. وتطلب منهم الانتظار.

حين حلت ليلة العيد.. بلغ بها اليأْسُ مَبْلَغَه عند منتصف الليل، وتَيَقّنَتْ أنّ لا نَصِيبَ لهم في كبش المُحْسن، ولا متسع من الوقت لديها للبحث عن كبش بديل.. أوصَدت عليهم بابَ المنزِلِ، و أغْلَقَتِ النوافذ.. اعتقادا منها أن هذا هو الحل في الظرف الراهن .

صباح العيد.. كان الضَّجِيجُ و التَّهاليلُ و التَّبْريكاتُ تَتسَربُ إليهم من شُقوقِ الباب.. و تَصَدُّعاتِ النوافذ.. منذ الساعات الاولى من الصباح الباكر..

جَمَدَ الأطفالُ في أماكِنِهم مصدومين.. ينظرون إلى بعْضِهم.. ثم إلى والدهم في تَساؤُلٍ و حَيْرَةٍ.. وجوهُم شاحبة و عيونُهم جاحظة.. والصَّمْتُ يُخَيِّم عليهم جميعا.. وبهجة الجيران تغزو مجلسهم.. كانوا خمسة يتامى ثلاث بنات و طفلين.. اكبرهم يبلغ إحدى عشر سنة.. والأصغر لا يتجاوز ثلاث سنوات... منذ وفاة والدهم.. وهم في طابور الانتظار.. من انتظار تعويض التأمينات.. إلى انتظار تسوية معاش والدهم.. إلى انتظار كبش المحسن الذي لم يف بوعده تجاههم.. ربما نسيهم.. أو انشغل عنهم.. أو كان من الكاذبين..

والدهم العربي الذي كان يشتغل قيد حياته عون في المحكمة.. مات بغته في حادثة سير.. صدمته سيارة رباعية الدفع يسوقها ابن أحد رجال الأعمال.. عندما كان العربي يقود دراجته الهوائية في طريقه إلى البيت.. وتلك وسيلته في النقل التي اعتاد عليها منذ عهد بعيد.

لم يكن لوالدهم العربي رصيد في البنك، ولا عقارات في المدينة.. ولا املاك موروثة عن الاباء.. وبالتالي لم يترك لهم ميراثا..

والدتهم عائشة امرأة في عقدها الرابع.. محجبة و أمية.. لا عمل لها ولا حرفة.. ولا تملك أي مهارات يدوية..

كانت زوجة و ربة بيت.. مطبخها هو كل دنياها.. اسرتها هي كل عالمها.. فجأة تصبح أرملة.. وتجد نفسها في دوامة.. حائرة في امرها.. شاردة في تقديرها.. تائهة في تدبير شؤون بيتها.. بعدما أصبحت مجبرة على حمل الأمانة التي تعجز عن حملها الجبال.. توفير مصاريف لإطعام خمسة أفواه مع الكسوة و الرعاية يوميا.. وتوفير مصاريف الكراء وفواتير الماء و الكهرباء شهريا.. وجمع مصاريف الدخول المدرسي وأدوات الدراسة سنويا.. أما الكماليات فلا تدخل ضمن اهتمامها.. والفسح والسفر ليست لها أي اولويات عندها.

بسطح البناية التي تعود كل سكان البناية الاجتماع فيه لذبح أضحية العيد يوم العيد

انتبه هؤلاء الجيرانُ إلى غياب عائشة وابنائها.. بعدما انتهوا من كل طقوس الذبح و تعليق الاضحية و استخراج ما ببطنها من احشاء..

عندما شرعوا في شواء الكبد وتوابعه.. ساعتئذ فقط انتبهوا لجارتهم عائشة و أطفالِها.. فَتَكَرّمَ كُلٌ منهم بِ (قطيب من بولفاف) و قِسْطٍ

من اللحم.. بعد أن طرقوا البابَ عِدَّةَ طرقات.. و ارغموها على فتح الباب.. عاتبوها و خففوا عليها حمل الهم الذي تحمله على كتفيها.. بكلمات طيبة مواساة منهم لها تعيد الأمل فيها.. و تطرد اليأس منها.. وتزيل الطاقة السلبية عنها.. ومن أجمل الكلمات التي حفزوها للاندماج معهم أن (مول التاج كيحتاج) (الدنيا دوارة لي ما عطاتو اليوم تغنيه غدا)..

دخل اللحْمُ إلى بيتِ الارملة.. و استقر(بولفاف) في بُطُونِ الأطفال.. لكِنَّ العيدَ لم يَدْخُلْ إلى بيتهم.. و البهجة لم تستقر في نفوسهم.. أمّا الفرحة فقد ظلّت بعيدةً عنْ أسوارِ عالَمِهِم.. وهم ينظرون إلى أبناء الجيران بكثير من الخجل و الاستحياء.. لأنهم وجدوا أنفسهم الاستثناء الوحيد الذين لم ينحروا أضحية العيد في الحي وربما في المدينة.. ولعلهم في البلد كله.

خيانة مع سبق الإصرار

وقف أمام المِرْآة يتأمّلُ ملامِحَ وَجْهِه التي تخونُه مع مرور السنين أكثر من الآخرين، كلما نظر إليها.. أو استعان بها .

أخرج الصُّور من علبة يحتفظ فيها بكل مقتنياته الخصوصية منذ الطفولة.. تأملها جيدا..

صائحا:

"(هذه صورتي قبل خمس سنوات.. وهذه قبل عشر سنوات.. وهذه قبل عشرين سنة.. ")

وفي كل صورة كانت ملامِحُه تتخلى عن معالمها و تخونه..

وقف يَسُب ملامحَه التي تخونه وكل مَنْ يجد للخيانة مُبَرِّراً.. ابتداء من زوجته التي خانته و فرت مع عشيقها.. وانتهاء بصديقه الذي خانه وفر معها، و تزوج بها .

ثم أخد ينْظُر بِشك وارتياب إلى المِرْآة لعلها هي الأخرى تخونه.. لينطلق من جديد في السَب و الشتم كعادته.

وهو يرقص على أنغام موسيقى المهرجان.. الذي أقامه مجلس المدينة وسط خلق كثير.. أحسّ بالوهن والضيق و الاختناق.. تَطَرَّفَ جانبا.. ووقف يَسْتَجْمِعُ أنْفاسَه و قُوَّتَه لكنه أدرك أنّ صِحَّتَه هي الاخرى خانَتْه.. وأنّ الجَسد لم يعُدْ مُتمسِّكا به.. وأنّ العمر يتخلى عنه.

في هذه المرة لم يلعن.. لم يشتم.. ولم يسب.. ولكن نظر بصمت لما حوله.. و استسلم للانهيار، وقد أغمض عينيه.. ووقع مغشيا عليه.

تاكسي الجماعة

رآه رُفْقَةَ امرأة أخرى غير زوجته الحاجة نعيمة بشاطئ عَيْن الذئاب ليلا وهما يَتَرَجَّلان منْ سيارتِها الفارهة الرُباعية الدَّفْع .

تقدم نحوه و حيّاه.. فقد كانت بينهما تعاملات تجارية فيَ بيْع الأصْوات أيّام الانتخابات..

سأله بِفُضول وَقِح.. بعد أنْ تبادلا التحية و السلام:

"(..أيْنَ سيّارتُك الخاصّة ؟ !..

وأين سيّارة الجماعة خاصتك ؟ !.."(

ثم اطلق عنان ضحكة مسترسلة ها..ها..ها..ها.. ازعجت كل الحاضرين.. وواصل حديثه الفج:

" ماكُنْتُ أظنك منْ هُوَّاة رُكوب التاكسي ؟.. "

وظل يُقَهْقِهُ و يلمح بأحَد حاجِبَيْهِ إلى المرأة المرافقة.. يبدو أنه يعرفها حَقَّ المعرفة أو سمع عنها.. و إلاّ ما تجرّأَ و وصفها بالتاكسي الخُصوصي..

أما هي فقد تجاوزتْهما و مرّت دون أنْ تُعِيرَ لتلميحاتِهِ أدْنى اهتمام، لأنّها تعلم بِحُكْم خِبْرتها أنّ مَنْ يبيع صوته سِرّا بمئتيْ درهم لا يحق له أن يسأل به جَهْرا في الأماكن العامة..

أحسّ مُرافِقُها بالإحْراج فترك الفضولي خلْفه.. وانطلق خلفها، يجري خوفا أن يتعكر مزاجها.. و تفْسد الليلة التي خَطّطا لها معا بعناية.. و التي كلفتْه الكثير..

في بَهْوِ الفُندق كان رِفاقُه و شُركاؤه في الجماعة الحضرية ينتظرون انطلاق السَّهْرة.. و نَصيبَهُم من الكَعْكَة أثناء التوقيع على الصفقة.. عند ظُهور أوّل خيوط الفجر، انتهت السهرة و تمّت الصفقة، و أخد كل نصيبه إلاّ الفضولي الذي كان يتابع الاحتفال من بعيد فقد خرج خاوي الوفاض.. فأَعْلنَ الحرب على الجميع، و خرج ينشر بين الناس.. أنّ للجماعة تاكسي و أنّ أغْلب زبناه مِنَ المُنْتَخَبِين.. وأنّ أغلب الصفقات المشبوهة تتم بتوصيلة من ذلك التاكسي الرَّاقي و الأنيق..

وفي قرارة نَفْسِهِ كان يلْعن حَظَّه.. ويتأسف على صوتِه الذي باعه بثمن زهيد في حين يستثمره المُشْتري في الصفقات بالملايين.

زوج عتيقة

عتيقة من مواليد الدار البيضاء لكن تنحدر أصولها من منطقة دكالة، فهي طويلة القامة، بيضاء البشرة، جميلة الوجه، بدنها ممتلئ بالكامل.. ومكتنز في بعض المناطق الحساسة، تضع أنفها في كل أحداث الحي والأحياء المجاورة، وتبسط يدها ولسانها في كل قضايا الأسرة والجيران، خبيرة في الاعراس، وسيطة في محاكم الأسرة، مستشارة في الشعوذة والدجل، جلبابها فوق بدنها أيام الدراسة و العطل، حاضرة عند الضرورة كسيارة إسعاف لا تتوقف أبدا.

زوج عتيقة سي أحمد لم تكن له سلطة ولا صلاحية في تدبير شؤون البيت.. بل كان كجزء من أثاث البيت.. حضوره كغيابه لا يغير موازين القوى.. كل ثقافته تنحصر في الرياضة.. وكل اهتمامه ينصب على الملاعب.. وأغلب أوقاته يقضيها في المدرجات منذ حصوله على المغادرة الطوعية، ولا شأن له بما يجري في بيته.. وإذا استشاره أحد في

أمر دعت له عتيقة زوجته، أو استعان به ليتوسط له عندها.. قال له: (زوجتي عتيقة.. ما فيها ثِقة.. وعمّرها ما تقول الحقيقة).

ذلك كان جوابه في كل معضلة تصادفه، وتتعلق بزوجته.. ولم يصح من غفلته إلا وهو مطارد من طرف الأمن.. ومتهم بعدة قضايا.. بعد اعتقال زوجته عتيقة بتهم ثقيلة.. منها النصب والاختيال على الشباب قصد توظيفهم في الدوائر الامنية، بالإضافة إلى تهمة تهجير الشباب العاطل إلى الضفة الاخرى بعقود مزيفة.. واعتبروا زوجها طرفا في القضية.. لان بيته مسرح الجريمة مسجل باسمه كذلك الهاتف الثابت.. وكل الوثائق التي تدينه تحمل توقيعه..

كان يسخر من ضحايا زوجته عتيقة.. ولم يكن يعلم انه سيصبح ذات يوم واحد من ضحاياها.

يعيش على الهامش

الحب وحده لا يكفي دون عناية أو اهتمام.. والحياة لا تحلو أو تستقيم دون وجود الحب في حياة الأشخاص .

صحيح ليس بالحب يعيش الانسان.. لكن به قد يسعد أو يشقى.. أو قد يفقد عقله ويتوه بين الدروب .

كان الميلودي كل سنة يستقبل عيد الحب بعيون ذابلة.. لكن بأمل كبير.. وأحلام وردية .

وكلما حل العيد.. وجد قلبه خاليا.. و فكره شاردا.. وسعادته حلم بعيد المنال..

كل سنة يرى أترابه من الشباب في عيد الحب يقتنون دباديب ناعمة، أو يشترون ورودا حمراء، ويهدونها لنصفهم الآخر إلا الميلودي..

كان يود و يتمنى ان يشتري وردة حمراء ككل الشباب.. ولكن لمن سيهديها ؟!..

ما قيمة الوردة الحمراء إذا لم يجد الإنسان شريكا لحياته يهديها إياه.. هكذا كان يردد صارخا بينه و بين نفسه .

لا توجد في حياة الميلودي حبيبة.. ولا خليلة.. ولا صديقة.. ولا حتى أخت..

فهو وحيد والديه بالتبني.. كما يشاع.. وفوق هذا يتيم الأب.. فقير الحال.. قليل الجمال.. متلعثم في النطق والكلام.. وبينه وبين الحظ قضايا ومحاكم .

اعتاد أن يقضي يومه يتفرج على العشاق في الطرقات.. و يتأمل في عيون العابرات، لعله يحضى بنظرة حب أو اهتمام .

لما ينتهي العيد.. يودعه بحسرة.. كما استقبله بغصة.. حتى الفتات لا يحضى به.. ولا يقتات منه..

أدرك أن للحب ورودا من حق المحظوظات فقط..

وأيقن أن للحب نصيبا من حق المحظوظين فقط .

لذلك كثيرا ما كان يتساءل مع نفسه.. هل أصبح الحب مثل مباراة التوظيف يحتاج إلى وساطة و محسوبية حتى ينجح فيه.. و يحضى بنصفه الآخر .

تجاوز العشرين بخمس سنين، ولا زال ينتظر.. تجاوز الثلاثين بثلاث سنوات، ولا زال ينتظر.. قضى موظفا في شركة بالأمن الخاص سبع سنين، ولا زال ينتظر.. ولازالت كلتا يديه مغلولتين إلى عنقه لا يعرف كيف يبسطهما ليحضن الحب.. الذي طال غيابه .

وعند نهاية العيد من كل سنة.. يحجز له مكانا مع غيره.. في طابور المحرومين منتظرا نصيبه .

لكن هذه السنة.. سنة 2023.. في مطلعها، كان وضعه مختلفا.. فالوضعية متأزمة.. والنفسية في الحضيض.. والهم أثقل كاهله.. بذلك ترك مطلب الحب خلفه.. وحكايا نصفه الآخر جانبا.. وانغمس في ظروفه المعيشية..

وجد نفسه مجبرا بل مشغولا بالمهم..

وجد نفسه مكرها بل مهتما بالأهم..

المهم بالنسبة له هو الغلاء.. و الأهم في اعتقاده هو الارتفاع المتواصل للأسعار.. لأن راتبه الزهيد.. لا يقوى على الصمود في وجه الاحتكار .

حين ذكّره رفاقه بعيد الحب.. والليلة 14 فبراير.. ابتسم ساخرا.. إذ لم يترك الغلاء لعقله أي مساحة للتفكير في الرومانسية.. كما لم يترك لقلبه أي مكان للحب.. للمشاعر.. وللأحلام.

أشارا بيديه إلى قلبه معلنا أن الهم وصل إلى الحنجرة.. ثم واصل طريقه.

زواج بلا مهر ولا إشهار

اعتادت جدتي مساء كل ليلة من ليالي الصيف ان تحكي لنا حكاية من حكاياتها المشوقة مثل حكاية (هينة) وحكاية الكنز لكن حكاية آخر ليلة من ليالي الصيف دائما تكون مختلفة..

في تلك الليلة وهي آخر ليلة انطلقت جدتي تحكي و بوادر الخريف على الأبواب قائلة:

كان يا ما كان.. في قرية كبيرة تُعد من الحواضر.. تعيش فيها فتاة غنية و كريمة.. ذات علم و جمال.. لها عقارات و سيولة نقدية.. كان بابها مفتوحا في وجه المعوزين.. وبيتها مقصد للمحتاجين.. تقرض الاهل و الاقارب ثم تتنازل لهم عن الدين اذا تعذر لهم سداده.. إلى ان حل بقريتهم أحد خدام الاضرحة.. مجهول الاصل والهوية.. يؤمن بالخرافة ويزكيها بنشرها بين الناس.. جاء يطلب العمل في بيتها ليرعى مواشيها وينام في زريبتها..

نصب حباله و فخاخه حولها تارة بحلاوة اللسان و تارة أخرى بالأعمال السحرية و خفة اليد.. وقدم لها خدمات في طاعة مذلة كلما احتاجتها.. و لأنها غنية و غبية وقعت في شباكه..

وفي ليلة لم يكتمل فيها القمر بعد.. كُتب عليها ان تكون زوجته له في سرية تامة بلا مهر ولا إشهار ولا وليمة.. لكن الخبر تسرب ككرة ثلج صغيرة ظلت تتدحرج حتى اعدها السكان من اولى علامات الساعة.. كيف لرجل امي جاهل و مجهول النسب يرتبط بامرأة ذات اصول و نسب..

أحاط حولها ذلك الدجال سياجا واغلق الابواب و النوافذ.. و كشّر عن انيابه لكل من يقترب منها أو يتقرب منها.. ثم انتزع البهجة من شبابها.. و البسمة من فمها.. وزرع بدلا عنهما الكآبة في بيتها المهجور وفي حياتها المعزولة..

رغم غناها.. لكن الغباء و النحس رافقاها.. حتى الخصوبة تخلت عنها.. ولأنها اعتادت ان تشتري كل شيء بمالها.. وتملأ به حياتها وعالمها.. فقد اشترت رضيعة من أم عازبة كما تشتري اثاث بيتها.. وأدخلت الأمومة والحب و الزواج إلى سوق البورصة.. مزهوة بما فعلت.. وهو بجانبها يزين لها تصرفاتها طمعا في المزيد فقد كان لكل

تصرف منها ثمن تدفعه له.. وظلت مزهوة بما تفعل دون ان تشعر بانها كانت تفقد اشياء و اشياء لا تباع في السوق ولا تشترى من الناس..

فقدت البسمة و حل محلها الشكوى.. وفقدت الاحترام وحل محله الترهيب.. واختلت رجاحة العقل عندها و اختلت معها الموازين و ساد الكذب و البهتان..

وفي ليلة لم يكتمل فيها القمر بعد.. رفع عنها القلم وفقدت عقلها كما فقدت قبله كل المحبين الذين كانوا يحيطون بها.. ومن يراها اليوم وهي نزيلة أحد مستشفيات الامراض العقلية.. لن يصدق أن هذه هي من كانت لها صولة و جولة في عالم المال و الاعمال.. وكان بابها مفتوحا وبيتها محج للفقراء .

من يراها اليوم وهي تردد طول النهار جملة واحدة بكلمات مبعثرة ومتقطعة.. اكلت يوم اكل الثور الابيض.. اكلت يوم اكل الثور الاسود.. اكلت يوم اكل الثور البني.. تقهقه ثم تصرخ بأعلى صوتها كل الثيران اكلت في المواسم و الزوايا و الأضرحة.

صاحب الألقاب والمناصب

جلس يبكي بجوار سارية من سواري المسجد.. بعد صلاة المغرب ليوم عيد الأضحى وحيدا بلا صديق ولا مؤنس ولا زميل.. وهو الذي كانت صلاة العيد لا تقام إلا بحضوره في مواكب ضخمة مرافقة له إلى المسجد أيام كان وال على المدينة..

حيث كانت القوافل تتحرك لتحركه.. وتقف الهامات لوقفته.. وتتعطل حركة السير.. وتخلو الطرقات من السيارات تسهيلا لمرور موكبه.. وبيته لا يخلو من الزوار طوال النهار .

اليوم وبعد تقاعده الذي ظل يمدد فيه حتى استنفذ كل صلاحيات التمديد.. وبعد الاعفاء الاخير من منصبه بسبب خروقات واختلالات قام بها.. ترتبت عنها تقارير و شكايات عجلت برحيله.. بعد الإعفاء هذا.. ما عاد أحد يزوره أو يطرق بابه، و يسأل عنه إلا خدم بيته، وعمال ضيعته، و فلاحي اراضيه.. حتى هاتفه ما عاد يرن كالسابق، بل يظل هامدا صامتا لعدة ساعات حتى يرن من طرف زوجته، تسأله عن

مكان تواجده.. وتطلب منه العودة.. فقد كانت تعلم انه دخل في مرحلة اكتئاب حادة.. لذلك تتصل به بين الساعة و الاخرى لمعرفة أين وصل به شروده و تيهانه .

بعدما اختفى كل اصدقائه، و أتباعه الذين كانوا يحولون اجواءه كلها غبطة و حبور.. انفضوا كما ينفض الغبار.. وتركوه بل نسوه أو تناسوه متعمدين.. حتى سائقه الشخصي قدم استقالته.. و رحل مع الراحلين.

صاحب المناصب و الألقاب هذا رغم أنه رجل سبعيني لا زال يحافظ على لياقته البدنية.. واناقته المتميزة.. و قامته المنتصبة.. لكن ملامح وجهه أصبحت باهتة.. مع تجاعيد غير متناسقة لكثرة عبوسه في وجه المواطنين.. يعيش مع زوجته أما ابنتيه إحداهما متزوجة في بريطانيا والثانية مقيمة في كندا .

وقد لاحظ أثناء تجوله وحيدا ان متسولي المدينة إذا رأوه.. يتجاهلونه.. ولا يتقدمون له.. ولا يحومون حوله.. وتساءل مع نفسه عن السبب.. هل لأنه لم يتصدق عليهم يوما ؟! هل لأنه لم يبتسم في وجههم مرة ؟!..

هو لم يَجُدْ ولا مرة بما لديه بلا سبب..

كيف يلومون مَنْ تَعَوَّدَ أن يأخذ على الدوام.. ولا يعطي أبدا.. ولا يتصدق إطلاقا.. أو يهب أو يجزي مجانا.. هو تَعَوَّد ألا يعطي إلا الأوامر.. وألا يجزي إلا بالاقتطاعات.. وألا يهب إلا بالقرارات..

وازدادت أموره تعقيدا حين اصيب بمرض البروستات.. حيث أجرى عمليتها الجراحية في سرية تامة.. وبدأ يحس ان الدنيا تتخلى عنه.. وترغب في التخلص منه..

ما قيمة كل الحياة بالنسبة له بلا فحولة ولا صولة ولا بهرجة .

لقد تدرج صاحب الألقاب و المناصب عبر مساره المهني في عدة مناصب سامية.. لمدة خمسين سنة.. ابتدأ بقائد في المقاطعة، فباشا المدينة، ثم عامل على الاقليم، و اخيرا وال على الجهة..

اكتشف بعد رحلته ان كل قيمته كانت مجرد خيط دخان، لأنها ارتبطت بمنصبه و نفوذه.. و ليس بذاته و شخصه.. وان كل الذين كانوا يلازمونه.. كانوا يطوفون حول صلاحياته، ونفوذه، لقضاء مصالحهم الذاتية، و مكتسبات لشركاتهم و مشاريعهم..

اليوم تقاعد وجلس على الرف.. و ترك العمل والجاه و النفوذ.. ونسيه الجميع بما فيهم اقرب المقربين.. لكن الذين لم ينسوه وما أظنهم

سينسونه ابدا.. هم أولئك الاشخاص من المواطنين الذين آذاهم في أرزاقهم بأمر منه.. والذين شردهم عن عملهم بغضبته عليهم.. والذين خرب حياتهم بقرارات أصدرها في حقهم.. و الذين دمر بيوتهم بإجراءات الهدم التي كان يتخذها دون مراعاة لظروفهم .

هؤلاء هم خصومه في دنياه وفي آخرته.. ولا يدري هل الكوابيس التي يراها في منامه صادرة منهم.. و الصراخات التي تصم آذانه.. كلما وضع رأسه على الوسادة مرسلة منهم..

في وحدته الصامتة لا أحد يشنف اسماعه.. لا مدح ولا ثناء.. الذي تعود على سماعه ايام مجده في وظائفه المرموقة..

الكل نسيه إلا ضحاياه.. الكل محى صورته من ذاكرته إلا ضحاياه.. الكل أتلف رقم هاتفه إلا رسائل على شكل دعوات من ضحاياه.. تطارده.. تلاحقه في نومه و يقظته.. في حله و ترحاله .

ما عادت ضيعته بضواحي المدينة المجهزة بكل وسائل الترفيه.. وبكل أنواع الطيور المغردة.. و بكل اصناف الاشجار المثمرة، تثير فيه البهجة و السعادة.. كما كان ايام مجده و سطوته .

تمنى لو يصاب بمرض الزهايمر حتى ينسى هذا الإهمال و التهميش.. و هذه الخاتمة..

ما عاد يطيق السفر إلى شقته الفاخرة بباريس.. ولا إلى استراحته بضاحية لندن.. ولا إلى منتجعه بأحد شواطئ اسبانيا..

كل هذه الأماكن، ما عادت تعدل مزاجه العكر، أو تضفي عليه مسحة من السعادة.

لو كان يعلم أن هذه خاتمته ما كان تسلق تلك المناصب بكل الوسائل.. ولا حارب منافسيه بكل الطرق.. ولا اعتدى على معارضيه بكل الأدوات المتاحة له في ذلك الوقت .

منذ أن سمع عن طريق الصدفة بأحد المساجد قولة مأثورة للحسن البصري حين سأله أتباعه عن أشد الناس صراخا يوم القيامة؟ فقال لهم:

"رجل رزقه الله بمنصب استعان به على ظلم الناس " أحس يومها كأنه المقصود والمعني بتلك القولة.. وهو يرى مظالم ضحاياه.. لا زالت معلقة بين السماء والأرض.. لا ردها لأصحابها ولا اعتذر لهم عنها..

بدأت حالته تتدهور شيئا فشيئا.. بدأ يهمل منظره حين عمّر طويلا وتجاوز التسعين من العمر.. بعدها بدأ يعتكف في بيته ولا يغادره.. حين

فقد رغبته في الحياة.. شيئا فشيئا أصبح لا يغادر سريره بعدما وهن العظم منه .

ذات صباح ممطر وعاصف من صباحات فصل الشتاء.. أعلن عن وفاته.. وفي مسجد المقبرة أعلن الامام أثناء الصلاة عن جنازة " رجل" رجل فقط.. رجل بلا القاب.. وبدون اسم..

وشارك في صلاة جنازته نفر قليل من الناس.. أغلبهم من الورثة الذين ينتظرون نصيبهم من الميراث.. أما البقية المتبقية فهم الذين تمكنوا من الحضور طلبا للأجر رغم كثرة الأمطار التي تهاطلت في ذلك اليوم العاصف.

ختاما...

بارك الله في الجميع.. نحن و إياكم..

إذا وصلت إلى هذه الصفحة.. فقد انتهيت بعون الله من قراءة المجموعة القصصية وردة في سوق السمك التي شرعت في كتابتها في فترات متفاوتة و متباعدة ما بين سنة 2015 و سنة 2019..

ما عدا القصص العشر الأخيرة من المجموعة التي كتبتها ما بين سنة 2020 و سنة 2023.

كتبت هذه القصص في اماكن.. ومدن مختلفة ما بين مدينة سطات و ابن احمد و الجديدة و الدار البيضاء..

حيث انشغالي بالتدريس كان يستحوذ على كل وقتي، ويحول بيني وبين الكتابة بشكل مسترسل و مستمر.. وهي المرحلة التي انتقلت فيها من الانشغال بكتابة المسرحيات إلى الانشغال بكتابة القصص القصيرة والروايات..

كل القصص التي بين يديك هي من ذاكرة مرآة واقعنا المعاش.. ولا مساحة فيها لخيالي إلا بالقسط اليسير كالملح في الطعام.

فقد اصبحت قصص واقعنا المتأزم أغرب من الخيال في تراجيديته..

يكفي أن تنظر حولك.. وتسمع ما يقع في محيطك.

نفوس شخصيات القصص التي بين يديك مشروخة من الداخل.. مهزومة.. مكسورة.. جار عليها الزمان.. وجار عليها المجتمع.. وتخلى عنها الحظ.. فعانت الويلات باستثناء وردة التي خرجت من رماد هزائمها أكثر قوة وصلابة منتصرة حتى على نفسها.. لذلك عنوان وردة في سوق السمك حظيت بصدارة المجموعة القصصية.

لعلها تبعث الأمل في النفوس المنهزمة.. وتمنح الطاقة الإيجابية لأرواح مكبلة بالخيبات والانكسارات.. لتنطلق من جديد ببداية جديدة في يوم جديد.. في حياة جديدة.. بقوة صلبة وعزيمة من حديد.

والله ولي التوفيق..

فإلى اللقاء في مجموعة قصصية أخرى.

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

هذا العمل الإبداعي برعاية داربسمة للنشر الإلكتروني
بشراكة مع جروب ملتقى الأقلام المُبدعة...

للاطلاع على الصفحة الرسمة لداربسمة للنشر الإلكتروني على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.

للاطلاع على جروب ملتقى الأقلام المبدعة على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.

المحتويات

الإهداء 6
وردة في سوق السمك.. 8
ميراث فطومة 12
أب مع وقف التنفيذ.. 18
قُبَيْلَ الغُرُوب.. 22
الهدية.. 26
العطاء.. 29
مشروع نزوة 32
أمنية واهية.. 35
سيارة إسعاف الجماعة.. 39
حب من قوس قزح.. 43
عنوان الصمت.. 47

خطط أم فهد 50
عطر حبيبة 54
الأقنعة..... 56
وجها اللون الأبيض..... 59
حصاد أرملة..... 63
أسرار في طور البناء..... 67
كنزا بنت مَنّانّة 70
حب رصيده شيكات..... 77
حادثة جنس..... 80
إنّ بعض الظن..... 84
إعجاب.. صنع صيني 86
حِكايَةُ سِرٍّ..... 91
دفء وحنان 93
اللحظات الحرجة..... 96
الرحيل.....100
المتهم الوحيد 102
التسول في الحب 105
تلاسنات بالشخير.....107
مكسورة الجناح... حادة.....110
حب منتهي الصلاحية.....114
شبح الحب.. 118
شظايا الحب 122
وعد مسموم.....125

خيانة مع سبق الإصرار 129
تاكسي الجماعة 131
زوج عتيقة 134
يعيش على الهامش 136
زواج بلا مهر ولا إشهار 140
صاحب الألقاب والمناصب 143
ختاما.. 149

وردة في سوق السمك
وقصص أخرى

الكـــاتب:
نورالدين النبهاني

"يتذكر أنثاه كلما وضعوا أمامه فنجان قهوة ، لأن القهوة هي الأخرى في نظره أنثى سمراء ، كان يشعر بأناقة قهوته حِسا ..و بعطرها سِحرا و بمذاقها عذبا..كعذوبة شفتيْ أنثاه كلما انحنى يقبلها..

كانت أنثاه سمراء ..و مزهوة بحروف اسمها التي ترمز إلى السُّمْرة و السَّمَر..لذلك بدونها لا يحلو له السمر..ولا يزهو في جلسته القمر..

تغيب بضع سويعات فيتحول غيابها إلى فراغ ، و يتحول الفراغ إلى قلق.. فيصبح القلق صمتا، وينقلب الصمت إلى دقات مزعجة لساعة كبيرة معلقة على جدار الغرفة..وهو ممدد على السرير ، يحارب الوقت و الوحدة، باسترجاع الذكريات، ذكريات اللقاءات الأولى، و شريط حياته، في انتظار عودتها.

وحين تعود ، و يراها مُقبلة نحوه مُبتسمة.. كأميرة بثوب أبيض فضفاض أو حمامة تحلق فوق المراعي والمروج ..يفيض شيطان شعره وَحْيا و الهاما..

كان فيما مضى يلمح لها بالحب تلميحا.. ما أجمل الحب بالتلميح .. وما الذ الاعتراف به صراحة وفي واضحة النهار .. وأمام الملأ."

صدر له مع دار بسمة

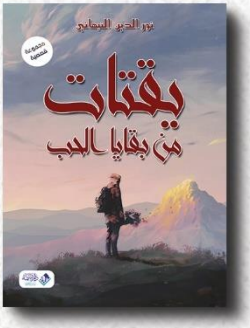

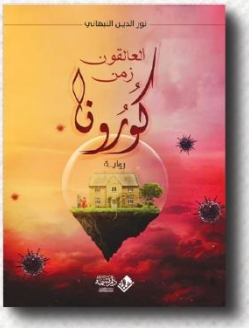

Bassmabook
0021277181493
Contact@darbassma.net